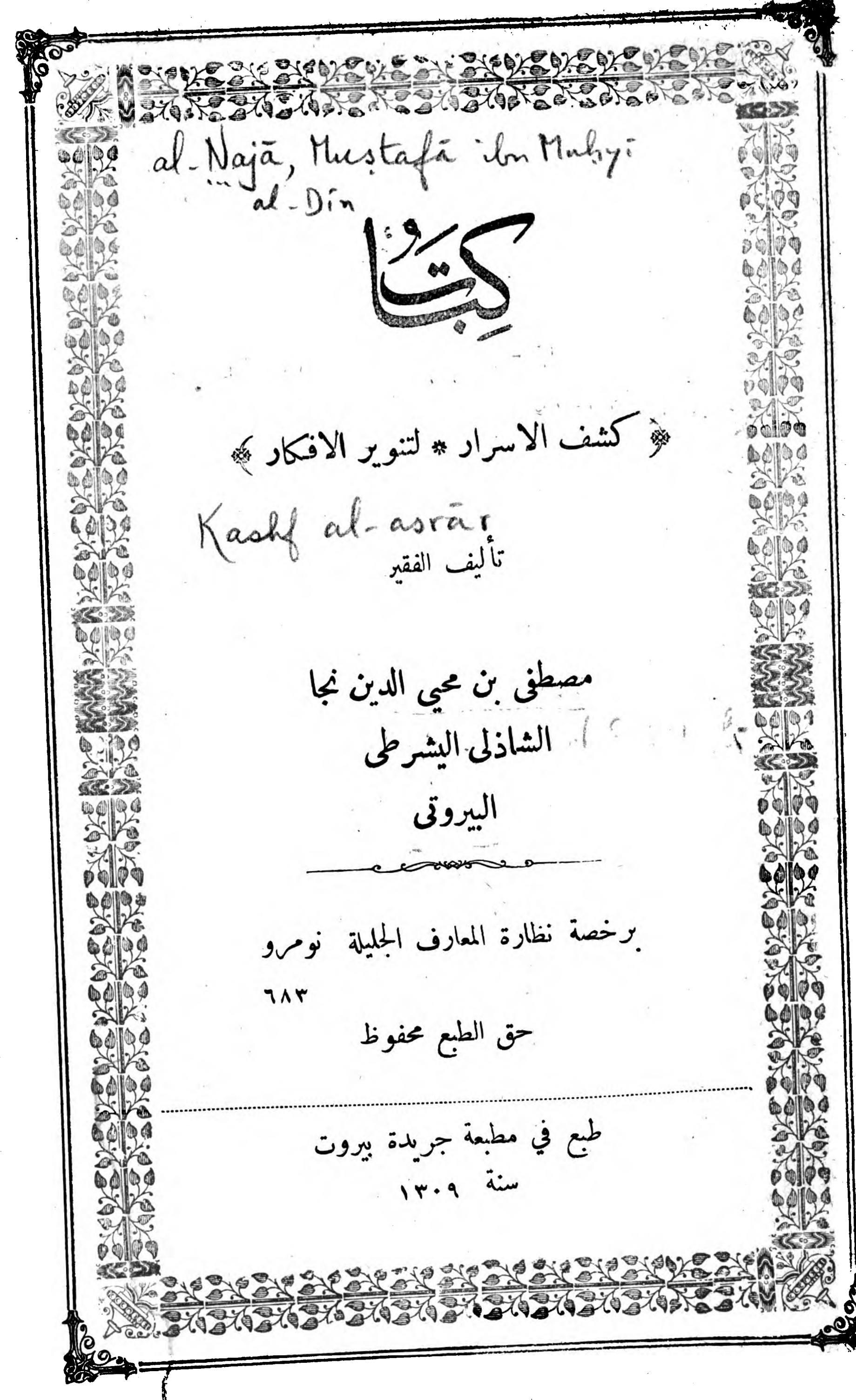
الذكر اعظم باب انت داخله
لله فاجعل له الأنفاس حراسا



al-Najā, Mustafā ibn Muhyi al-Din

كتاب

كشف الاسرار * لتنوير الافكار

Kashf al-asrār

تأليف الفقير

مصطفى بن محيي الدين نجا
الشاذلي اليشرطي
البيروتي

برخصة نظارة المعارف الجليلة نومرو
٦٨٣

طبع في مطبعة جريدة بيروت
سنة ١٣٠٩

قد كانَ تأليف هذا الكتاب المستطاب المسمّى

﴿ كشف الاسرار * لتنوير الافكار ﴾

وهو شرح الوظيفة الشاذليّة

المدنية

فى ايّام خلافة حضرة السلطان المجاهد * المتحلِّى باشرف المناقب والمحامد * انسانِ عين الزمان * روحِ جسد الاحسان * ظل الله الظليل فى الارض * القائم باجراء السنة والفرض * حسنة الليالى والايام * مركزِ مدار الانصاف فى سائر الاحكام * محب العلم والعلماء * والصلحاء والاولياء * الذى انام الرعايا فى مهاد امانه * وشملهم بعظيم رأفته وامتنانه * حتى انطلقتِ الالسنةُ بالثناء على حضرتِه * واجتمعتِ القلوبُ على محبته ومودتِه * كيف لا وهو الملكُ الصالح النافذ امرُه * والمشرقُ بانوار الهداية والتوفيق فكرُه * صاحب الدولة التى يدور عليها فلكُ المجد * وتشير الاكفُّ اليها ببنان الاعتبار والحمد * ذو الحزم الذى لا تَرِدُ على آياته نواسخ * والعزم الذى وقفت دونه الراسيات الشوامخ * سيف الله القاطع * ونوره الواضح اللامع * رافعُ قواعد الاحكام الدينية * وقامعُ معاندى الشريعة النبوية * ولىُّ النعم * علىُّ الهمم * اكليلُ تاج الكرم * ناشرُ لواء الامن على رؤس الامم *

سيدنا ومولانا امير المؤمنين * وامام المسلمين * المتوكلُ على رب العالمين * والمقتدى بسيرة الخلفاء الراشدين

اجلُّ سلاطين الزمان مليكُنا   خليفةُ خيرِ الخلق قطبُ المكارم
ملاذُ الورى «عبدُ الحميد» الذى حَمى   حِمى الدِّين والدنيا باقوى العزائم
هو البحرُ بحرُ العدل والفضل والتقى   وبحرُ العطايا والهُدى والمراحم
به ابتهجَ الاسلامُ شرقاً ومغرباً   واثنى على عُلياه بين العوالم
اتى وعوادى المشكلات كثيرةٌ   وما كان منه الطرفُ عنها بنائم
فجرَّد من غِمْد الدراية صارماً   به قُطِعت اسبابُ كل مخاصم
مآثره جلَّت كما جلَّ قدره   واوصافه لم يُحصِها فكرُ ناظم
إطاعتُه فرضٌ على كل مسلم   بذا العصر من عُرْب الملا والاعاجم
فدام به عرشُ الخلافة ثابتا   ثبوتَ الرَّواسى مستقيم الدعائم
وبلغه الله المنى وامدَّه   بنصرٍ مجيدٍ واقتدارٍ مُلازم
ولا برحَتْ بالعز دولةُ ملكه   ولا زال فى حفظٍ من الله دائم

آمين

اللهم آمين * بجاه خاتم النبيين والمرسلين * صلوات الله تعالى وسلامُه عليه وعليهم اجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لك يامَن فتح للقائمين بوظائفِ خدمته ابوابَ الشهود. ومنح المستقيمين على تِلاَوة الاوراد توفيقاً وردوا به مواردَ السعود. وصلاةً وسلاماً على سيدنا وسندنا محمدٍ المحمود. عبدِكَ ونبيك ورسولِكَ الذى شرَّفتَ به الوجود. واقمتَه واسطةً لإِيصال الفيض والجود. وجعلته سبباً للوصولِ اليك والحصولِ على المقصود. وحجاباً لمن رام الدخول عليك من غير بابِهِ المسعود. وحَرمِهِ الذى من دخل منه كان عن حَرمِ قُدسك غير مطرود. وعلى آلِهِ واصحابه الذين وفَّوا بالعهود. واقتفوا آثاره ولم يتجاوزوا الحدود. ونسئَلُكَ اللهم ياملكُ ياحقُّ يامعبود. يامن تنزَّه عن الشريك والوالد والمولود. وتعالى عما يقوله الظالمون علوّاً غير محدود. متوسلين اليك بلطائف عوارفِ اسمك الكريم الودود. ان تُدخِلَنا حضرةَ الوداد. وتسلك بنا سُبُل الاسعاد. وتمنحنا الامداد فى ظل كرمك الممدود*

وبعد فيقول الفقير الى الله تعالى مصطفى ابن محى الدين نجا الشاذلى اليشرطى البيروتى غفر الله تعالى له ولوالديه وللمسلمين اجمعين. انى لما تشرفتُ بخدمة الطريقة الشاذلية العلية * التى تلقَّيناها عن حضرة الإِمام

الهُمَام المرشد الكامل سيدنا ومولانا الشيخ على نور الدين اليشرطى التونسى الشاذلى الشريف الحسنى . نفعنا الله ببركاته . ومنّ علينا بطول حياته آمين ❊ وأُمرتُ بتلاوة الوظيفة الشريفة . ذات العبارات البديعة والاشارات اللطيفة . وكان من جملة اسباب الفوز بالامانى فهمُ المعانى . والعلم بما انطوت عليه المبانى . اخذت فى تفهّم معانيها . وتدبّر مبانيها . فوجدتها مشتملة على علوم لا يعقلُها الا العالمون . ولا يدركها الا المحققون . الذين هم بمعرفة الله تعالى متحققون . ونظرت الى همتى فوجدتها عن كمال الادراك قاصرة . لا تقوى على خوض تلك البحار الذاخرة . واستخراج ما فيها من الجواهر . التى ظهرت على النجوم الزواهر . فاحجمتُ من بعد الإِقدام . ومازلتُ واقفاً بمركز العجز فى هذا المقام . الى ان فتح الله الباب . ويسر الاسباب . ومنّ بنيل المرام . والهمنى ان أَقْتبِسَ من مشكاة اهل هذه الطريقة . الذين جنوا من رياض الشريعة ثمرات الحقيقة . وأَلتقِطَ من فرائد فوائدهم التى بهرت الانام . ومحت بصفاء انوارها عن القلوب ظلمات الاوهام . ثم خطر لى ان اجمع ما احرزته فى كتاب . يكون كالشرح لهذا الورد العذب المستطاب . فتوكلت على رب العباد . وطلبت الامداد من حضرة صاحب الارشاد . وسلكت بتأليفه طريقة العاجزين . المستظلين بافنان حدائق معارف الواصلين . والأَجْدرُ بى ان اقول هذا ما قدرت عليه . ووصلت بتوفيق الله تعالى اليه . فان اصبت فبفضل رب العالمين . وان اخطأت فلا تثريب على القاصرين . لان كلام الاولياء منطوٍ على اسرار مصونة . وحِكَم فِي

كنوز صدورهم مكنونة. لا يكشفها الا من هو منهم. او من اخذ بالتلقي عنهم. غير انى تطفَّلت على موائدهم. وطمِعتُ بورود مواردهم. ووقفت على ابواب جنابهم. راجياً بان اطفئ ظمأى بقطرة من شرابهم. قائلاً *

وحاشا ان يُردَّ مريد قومٍ كرامٍ او يُصدَّ عن المرادِ
وهم فى الكون أعمِدَةُ المعالى واصحابُ المنافع للعبادِ

على ان من احب قوماً او تشبه بهم من بين الانام. كان منهم وان كان عنهم بعيد المقام. هذا وقد اقتصرت فى تفسير الآيات القرآنية على ما قاله المفسرون. وذكره العلماء العاملون. ممن رزقهم الله تعالى كمال المعرفة والفهم. قال تعالى وما يعلم تأويله الاَّ الله والراسخون فى العلم. لكنّى بينت فى المقدمة على سبيل التنبيه. ما ينبغى للتالى ان يقصده عند تلاوتها وينويه. ولما انعم الله باتمامه. وظهر ظهور القمر ليلة تمامه. سمَّيته

﴿ كشف الاسرار * لتنوير الافكار ﴾

وانى اتوسل الى الله تعالى واسأله بنبيّه الاكرم. ورسوله الاعظم. صلى الله عليه وسلم. ان يجعله خالصاً لوجهه الكريم. وموجباً للفوز بالاستقامة على الطريق القويم. وان ينفع به من اطّلع عليه. ونظر بعين الانصاف اليه. واولُ ما ابدأُ بالمقدمة فاقول. ومن الله استمدُّ التوفيق والقبول

﴿ اعلم ﴾ ان هذه الوظيفة السنية. من جملة اوراد الطائفة الشاذلية العلية. وهى الصلاةُ الجليلةُ المزوجة المنسوبة الى القطب الذى

عمّت بركاته. وسارت فى الكون امداداتُه. شيخ الاسلام. وامام الانام. سيدنا ومولانا عبد السلام ابن بشيش من البشاشة وهى طلاقة الوجه ابن منصور بن ابرهيم الحسنى ثم الادريسى. من ولد سيدنا ومولانا ادريس ابن سيدنا ومولانا عبدالله ابن سيدنا ومولانا حسن المثنّى ابن سيدنا ومولانا الحسن السبط ابن سيدنا ومولانا على بن ابى طالب. باب مدينة العلم والمواهب. رضى الله عنهم اجمعين. وهذا المزج الذى هو ارقُّ من ماء التسنيم. والطفُ من النسيم. اذا سرى بالروض الوسيم. لحضرة مولانا الشريف الحسينى ابى احمد العربى الدرقاوى. ويقال لها الوظيفةُ المدنية نسبة الى حضرة شيخ استاذنا سيدنا ابى عبدالله محمد ابن حمزة ظافر المدنى قدّس الله سره. واذا اردتَ ان تعرفَ الاصل. من الفصل. فهو هذا

﴿ اللهم ﴾ صلِّ على من منه انشقت الاسرار. وانفلقت الانوار. وفيه ارتقت الحقائق. وتنزلت علوم آدم فاعجز الخلائق. وله تضاءلت الفهوم فلم يدركه منا سابقٌ ولا لاحق. فرياضُ الملكوت بزهر جماله مونقة. وحِياض الجبروت بفيض انواره متدفّقة. ولا شىء الاّ وهو به منوط. اذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط. صلاةً تليق بك منك اليه كما هو اهله. اللهم انه سرك الجامع الدال عليك. وحجابك الاعظم القائم لك بين يديك. اللهم الحقنى بنسبه. وحققنى بحسبه. وعرفنى اياه معرفة اسلم بها من موارد الجهل. واكرع بها من موارد الفضل. واحملنى على سبيله الى حضرتك. حملاً محفوفاً بنصرتك. واقذف بى

على الباطل فادمغه. وزُجّ بي في بحار الاحدية. وانشلني من اوحال التوحيد. واغرقني في عين بحر الوحدة. حتى لا ارى ولا اسمع ولا اجد ولا احس الاّ بها. واجعل اللهمّ الحجاب الاعظم حياة روحي. وروحه سرّ حقيقتي. وحقيقته جامع عوالمي. بتحقيق الحق الاول. يا اولُ يا آخر ياظاهر ياباطن اسمع ندائي بما سمعت به نداء عبدك زكريا. وانصرني بك لك وايدني بك لك. واجمع بيني وبينك. وحل بيني وبين غيرك. الله. الله. الله. ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد. ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا. اللهم صلى وسلم على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الامى وعلى آله وصحبه عدد الشفع والوتر وعدد كلمات ربنا التامات المباركات. سبحان ربك رب العزة عما يصفون. وسلام على المرسلين. والحمد لله رب العالمين

* * * انتهت * * *

وقد سماها سيدى ابو الحسن الشاذلى رضى الله عنه صلاة الفتح والقرب. وقال من لازمها فتح الله عليه باب الوصول وحصل له القرب من النبي صلى الله عليه وسلم. وقال بعض العلماء هي افضل الصلاة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بعد الصلاة الواردة لما فيها من قوله صلاة تليق بك منك اليه كما هو اهله وذكر علماء الطريقة ان صاحبها قدس الله سره كان قطب زمانه وعين اعيان اوانه وانّ مقامه بالمغرب كمقام الامام الشافعي رضى الله عنه بمصر. وقد تُوفي شهيداً عام اثنين وعشرين وستمائة وطريقه تُنسَب الى القطب الشريف الحسيني. سيدنا عبد

الرحمن المدنى نسبة لمدينة النبى صلى الله عليه وسلم
واشتهر بالزيّات لسكناه بحارة الزيّاتين ولم يقتد بغيره ❊ وعنه اخذ القطب الاكبر سيدنا ومولانا ابو الحسن الشاذلى قدس الله سرّه الانور ❊ وعلى يديه حصل له الفتح واليه كان ينتسب اذا سُئِل عن شيخه. قال رضى الله عنه لما دخلت العراق اجتمعت بالشيخ الصالح ابى الفتح الواسطى فما رأيت بالعراق مثله. وكنت اطلب القطب فقال لى تطلب القطب وهو فى بلادك فرجعت الى بلاد المغرب الى ان اجتمعت باستاذى الشيخ الولى العارف الصّديق القطب الغوث ابى محمد عبد السلام بن بشيش الشريف الحسنى. ولما قدمت عليه وهو ساكن مغارةً برباطه فى رأس الجبل اغتسلت فى عينٍ اسفل الجبل وخرجت عن علمى وعملى وطلعت اليه فقيراً. واذا به هابطٌ علىّ فلما رآنى قال مرحباً بعلى بن عبد الله بن عبد الجبّار وذكر نسبى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم قال لى ياعلى طلعتَ الينا فقيراً عن علمِكَ وعملِكَ اخذت منّا غنى الدنيا والآخرة. فاخذنى منه الدّهش واقمت عنده اياماً الى ان فتح الله على بصيرتى ورأيت له خرقَ عاداتٍ من كراماتٍ وغيرها. وكنت يوماً جالساً بين يديه وفى حجره ولدٌ صغير فخطر ببالى ان اسأله عن اسم الله الاعظم فقام الولد الىّ ورمى يده الى اطواقى وقال ياابا الحسن اردتَ ان تسأل الشيخ عن الاسم الاعظم انما الشأن ان تكون انت هو الاسم الاعظم يعنى سر الله مودعٌ فى قلبك قال فتبسم الشيخ وقال اجابك فلانٌ عنا وكان اذ ذاك قطب الزمان. ثم قال لى ياعلى إرتحِل

الى افريقية واسكنْ بها بلداً تُسمّى شاذِلَة فان الله يُسمّيك الشاذلى وبعد ذلك تنتقل الى مدينة تونس ويُؤتى عليك بها من قِبَلِ السلطنة. ثم تنتقل الى بلاد المشرق وتَرِثُ فيها القطبانية فقلت له ياسيدى اوصنى قال اللهَ اللهَ والناس تُنزهُ لسانك عن ذكرهم. وقلبك عن التماثيل من قِبَلِهم. وعليك بحفظ الجوارح. واداء الفرائض. وقد تمت ولاية الله عليك. ولا تذكرهم الا بواجب حق الله عليك وقد تمَّ ورعُك. وقل اللهم ارحمنى من ذكرهم ومن العوارض من قِبلهم. ونجنى من شرهم. واغننى بخيرك عن خيرهم. وتولّنى بالخصوصيَّة من بينهم. انك على كل شيء قدير

قلتُ وقد كان الامر كما قال الشيخ قدس الله سرّه. فقد روى الاستاذ ابن الصبَّاغ الحميرى وغيره عن اصحاب الشيخ ابى الحسن انه لما توجَّه رضى الله عنه الى شاذلةَ بحسب امر شيخه كما تقدم وانتقل منها بعد برهةٍ من الزمان الى تونس صحِبَه بها جماعةٌ من الفُضلاء واقام بها مدةً الى ان اجتمع اليه خلقٌ كثير. فسمع به الفقيه ابو القاسم ابن البرَّا وكان فى ذلك الوقت قاضى الجماعة فاصابه حسدٌ كثيرٌ وَوَجَّه اليه ليناظره فلم يقدر على التمكن منه. فقال للسلطان انَّ ها هنا رجلاً من شاذلة يدَّعى الشرف وقد اجتمع اليه خلق كثير. ويدَّعى انه الفاطمى ويشوش عليك فى بلادك وكان السلطان رحمه الله قد اجتمع بابن البرا وجماعةٍ من الفقهاء فى القضية وجلس السلطان خلف حجاب. وحضر الشيخ رضى الله عنه وسألوه عن نسبه مراراً والشيخ يجاوبهم عليه

والسلطان يسمع وتحدثوا معه فى العلوم كلها فافاض عليهم بعلوم اسكتهم
بها فما استطاعوا ان يجاوبوه عنها من العلوم الموهوبة والشيخ يتكلم
معهم بالعلوم المكتسبة ويشاركهم فيها. فقال السلطان لابن البرا هذا
رجل من اكابر الاولياء وما لكم به طاقة. فقال له والله لئن خرج
فى هذه الساعة ليُدخِلَنَّ عليك اهل تونس ويخرجوك من بين اظهرهم
فانهم مجتمعون على بابك. قال فخرج الفقهاء وأُمِر الشيخ بالجلوس.
ودخل عليه بعضُ اصحابه فقال له ياسيدى الناس يتحدثون فى امرك
ويقولون يُفعل به كذا وكذا وبكى بين يديه فتبسم الشيخ رضى الله
عنه. وقال والله لولا انى اتأدب مع الشرع لخرجت من ها هنا ومن
ها هنا واشار بيده فمهما اشار الى جهةٍ انشقَّ الحائط. ثم قال له ائتنى
بابريقى وسجّادتى وسلم على اصحابى وقل لهم ما نغيبُ عنكم الا اليومَ
خاصةً وما نصلى المغربَ الا معكم ان شاء الله تعالى. فاتاه بما امره
فتوضأ وتوجّه الى الله سبحانه وتعالى. قال رضى الله عنه فهممتُ بالدعاء
على السلطان فقيل لى ان الله لا يرضى لك ان تدعو بالجزع من
مخلوق. فأُلهمتُ ان اقول يامن وَسِع كرسيُّه السّموات والارضَ
ولا يؤدُه حِفظُهما وهو العلىُّ العظيم. اسئلك الايمان بحفظِكَ ايماناً
يسكُنُ به قلبى من همِّ الرزق. وخوف الخلق. واقرُبْ منى بقدرتك
قرباً تمحقُ به عنى كلَّ حجابٍ محقتَه عن ابراهيم خليلِكَ فلم يحتجْ
لجبريلَ رسولِكَ. ولا لسؤآله منك. وحجبتَهُ بذلك عن نار عدوه.
وكيف لا يُحجب عن مَضَرَّة الاعداء من غيَّبتَه عن مَنفعةِ الاحبّاء.

كلاَّ انى اسئلك ان تُعيبنَى بقربك منّى حتى لا ارى ولا أُحِسّ بقرب شئ ولا ببعده عنى انَّك على كل شئ قدير .

قال الراوى وكانت عند السلطان جاريةٌ من اعز جواريه عليه فاصابها فى ذلك اليوم وجع فماتت من ساعتها . وأُصيب السلطان بسببها . وغُسِّلت فى بيت سكناها وبخروا اكفانَها واشتغلوا بدفنها . ونسوا المجمرةَ فى القبة فاحترقَ جميع ما فيها من الفرش والملابس والذخائر والاموال وذلك شئ لا يُحصى ولا يُعد . فعلم السلطان انه اصيب من اجل هذا الولى . وسمع بذلك اخوه وكان ذلك اليوم فى جنانه بخارج المدينة فاتى مبادراً . وقال له ما هذا الذى اوقعك فيه ابن البرا اوقعك والله فى الهلاك انت ومن معكَ قم بنا الى الشيخ فقام معَهُ ودخلا على الشيخ رضى الله عنه . وجعل اخو السلطان يقولُ ياسيدى اخى والله غير عارفٍ بمقدارك وهو يقبل يديه ورجليه ويسأله الصفح عنه فقال له الشيخ والله ان اخاك لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً كان ذلك فى الكتاب مسطوراً .

قال وخرج اخو السلطان بصحبة الشيخ حتى وصل الى داره ثم رجع واقام الشيخ بتونس اياماً . ثم امر اصحابه بالسفر الى بلاد المشرق . ووجَّه الى ابن البرا أَترانى أُوسّعُ لك مدينة تونس ولمّا سمع السلطان بخروجه تغير لذلك . وقال ايُّ شئ يُسمع عن إِقْلِيمِنَا انه اتاه ولىٌّ من اولياء الله تعالى فضاق عليه حتى خرج فارًّا بنفسه وامر من يرده . فلما وصل اليه قال له السلطان يامرك بالرجوع فقال الشيخ ماخرجت

الا بنيّة الحج. ولكن اذا قضى الله حاجتى اعود ان شاء الله تعالى

قال خادمُ الشيخ ابو العزائم ماضى بن سلطان لمّا دخلنا الاسكندريّة عَمِل ابنِ البرا عقداً بالشهادة ان هذا الواصل اليكم شوّش علينا بلادنا وكذلك يفعل فى بلادكم . فامر سلطان مصر ان يُعقل بالاسكندريّة . فاقمنا اياماً ولم يكن عندنا خبر بذلك . وكان السلطان قد رمى رميةً على اشياخ بلدٍ يقال لها القبائل فلما سمعوا بورود الشيخ اتوا اليه يطلبونه فى الدعاء فقال لهم غداً ان شاء الله تعالى نسافر الى القاهرة ونتحدث مع السلطان فيكم . قال فسافرنا وخرجنا من باب السدرة وفيه الجنادرة والوالى لا يخرج احد حتى يفتشوه فخرجنا ولم يرنا احد ولا علم بنا فلما وصلنا الى القاهرة واتينا القلعةَ استُؤذِنَ علينا السلطان فقال وكيف امرنا ان يُعقل فى الاسكندريّة ثم أَذِن لنا بالدخول فدخلنا عليه والاشرافُ والقضاةُ حوله فجلس الشيخ معهم . ونحن ننظر اليه فقال له السلطان ما تقول ايها الشيخ . فقال جئت اشفع فى القبائل . قال له اشفع فى نفسك اولاً فان هذا عقدٌ مشهودٌ فيك وجّهه ابن البرا من تونس . وعلامته فيه وناوله العقد . فقال له الشيخ انا وانت والقبائل فى قبضة الله تعالى . وقام رضى الله عنه فلما مشى قدر العشرين خطوة . كلم القضاةُ السلطانَ فلم يتكلم . حركوه فلم يتحرك . ولم ينطق بشىء . فبادروا الى الشيخ وجعلوا يقبلون يديه ورجليه وهم يُرغِّبُونه فى الرجوع اليه . فرجع اليه وحركه بيده المباركة فتحرك . ثم نزل عن كرسيّه وجعل يستحِلهُ ويقبل يديه ويسأله

الدعاء. ثم كتب الى الوالى بالاسكندرية ان يرفع الطلب عن القبائل ويترك لهم جميع ما اخذه منهم. واقمنا عنده فى القلعة اياماً. واهتزت بنا الديار المصريّة الى ان طلعنا الى الحج. وهنا ذكر ان الشيخ رضى الله عنه عاد من حجه الى تونس واقام بها اياماً. الى ان قدم عليه وارث مقامه فى الولاية والقطبانية سيدنا ومولانا شهاب الدين احمد ابو العباس المرسى قدّس الله سرّه. وان الشيخ رضى الله عنه رأى بعد ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فامره بالانتقال الى الديار المصريّة. فامر هو اصحابه بالحركة وسافر متوجهاً الى المشرق

وصَحِبَه فى سفره هذا الشيخ الولىّ الصّالح ابو على يونس بن السماط. قال العارف بن الصبّاغ وحدثنى الصالح ابو عبدالله الناسخ قال توجهت فى خدمة الشيخ ابى على بن السماط وهو فى صحبة الشيخ ابى الحسن الشاذلى فلما وصلنا الى طرابلس قال الشيخ نتوجّه على الطريق الوُسْطى واختار الشيخ ابن السّماط طريق الساحل فرأى الشيخ ابو على النبىّ صلى الله عليه وسلم فقال له يايونس انت ولىّ الله وابو الحسن ولىّ الله ولن يجعل الله لولىٍّ على ولى من سبيل. امض على طريقتك التى اخترت. ويمضى هو على طريقته التى اختار. فافترقنا الى ان اجتمعنا بقرب الاسكندرية قال ولما صلّينا الصبح توجه الشيخ ابو على السّماط الى خباء الشيخ ابى الحسن الشاذلى ونحن فى صحبته. فدخل عليه وجلس بين يديه وتأدّب معه بكلام ما فهمنا منه شيئاً. فلما اراد الانصراف قال له ياسيدى هات يدك اقبلها فاعطاه

يده فقبلها وانصرفَ وهو يبكى . فعجبنا منه فى ذلك اليوم . فلما كان فى اثناءِ الطريق التفت الى اصحابه وقال لهم رأيت البارحة النبي صلى الله عليه وسلم فقال لى يايونس كان ابو الحجاج الاقْصَرى بالديار المصرية وكان قطب الزمان فمات البارحة وأَخْلَفَهُ الله تعالى بابى الحسن الشاذلى . فاتيت اليه حتى بايعته بيعة القطبانية فلما وصلنا الى الاسكندرية وخرج الناس يتلقُّون الركب . رأيت الشيخ ابا على السَّماط يضربُ بيده على مُقَدَّم الرحل وهو يبكى ويقول . يا اهلَ هذه البلدة . لو علمتم من قَدِم عليكم فى هذا القفل لقَبَّلتم اخفافَ بعيره . قدِمَتْ والله عليكم البركات ﴿ انتهى باختصار ﴾ . وبعض اصلاح فى الالفاظ . من كتاب المفاخر العلية . فى المآثر الشاذلية *

وذكر الامامُ الشعرانى فى طبقاته الكبرى . ان شيخ الاسلام تقى الدين بن دقيق العيد كان يقول ما رأيتُ اعرفَ بالله منَ الشيخ ابى الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه . وترجمه الشيخ تاج الدين بن عطاء الله الاسكندرى . فى كتابه لطائف المنن . بانه قطبُ الزمان . والحاملُ فى وقته لواءَ اهل العيان . حجةُ الصوفية . علم المهتدين . زينُ العارفين . استاذ الاكابر . المنفردُ فى زمنه بالمعارف السَّنية والمفاخر . زمزمُ الاسرار . ومعدنُ الانوار . القطبُ الغوثُ الجامع . تقىُّ الدين ابو الحسن على ابنُ عبدالله بنِ عبدِ الجبار بنِ تميم بنِ هُرمُزَ بنِ حاتم بنِ قُصى بنِ يوسُفَ بنِ يوشعَ بنِ وردِ بنِ بطَّالِ بنِ احمدَ بنِ محمدِ بنِ عيسى بنِ محمدِ بنِ الحسَنِ بنِ على بنِ ابى طالب . عُرِفَ بالشاذلى . . منشأُهُ بالمغرب

الاقصى . ومبدأ ظهوره بشاذلة بلدة بالقرب من تونس واليها تُنسب له السياحاتُ الكثيرة . والمنازلاتُ الجليلة . لم يدخل فى طريق الله حتى كان يُعد للمناظرة فى العلوم الظاهرة . وقد ذكره الشيخ صفى الدين بن ابى منصور فى كتابه واثنى عليه الثناء الكثير . وذكره الشيخ قطب الدين القسطلأنى فى جملة من لقيه من المشايخ واثنى عليه . وذكره الشيخ ابو عبدالله بن النعمان . وشهد له بالقطبانية . وذكره الشيخ عبد الغفار بن نوح فى كتاب التوحيد واثنى عليه . لم يختلف فى قطبانيته ذو قلبٍ مستنير . ولا عارفٌ بصير . جآء فى هذا الطريق بالعجب العُجاب . وشرّع من علم الحقيقة الأطْناب . ووسّع للسالكين الرِّحاب . واخبرنى الشيخ ابو عبدالله بن الحاج قال اخبرنى الشيخ ابو زكريا يحى البلبيسى . قال صحبت الشيخ ابا الحسن الشاذلى ثم سافرت الى الاندلس . فقال لى الشيخ ابو الحسن عند وداعى اياه اذا وصلتَ الى الاندلس فاجتمع بالشيخ ابى العباس بن مكنون فانه اطّلع على الوجود وعرف حيث هو ولم يطّلع الناسُ على ابى العباس فيعلموا حيث هو . قال فلما جئت الاندلس جئت الى الشيخ ابى العباس بن مكنون . فحين وقع بصره علىّ قال ولم يكن يعرفنى من قبل جئتَ يا يحى . الحمد لله على اجتماعك بقطب الزمان . يا يحى الذى اخبرك به الشيخ ابو الحسن لا تخبر به احداً . واخبرنى رشيد الدين بن الرئيس قال تخاصمتُ انا وبعض اصحاب الشيخ . فاتيت الى الشيخ ابى الحسن فذكرت مقالتنا له فقال الشيخ كنتَ تقول انا ربانى القطب ومن رباه القطب رباه

اربعون بدلا ﴿ وقال الشيخ ابو العباس المرسى رضى الله عنه ﴾ كنت مع الشيخ ابى الحسن بالقيروان . وكان شهر رمضان . وفى ليلة السابع والعشرين منه وهى ليلة الجمعة . ذهب الشيخ الى الجامع وذهبتُ معه فلما دخل الجامع واحرم رأيتُ الاولياء يتساقطون عليه كما يتساقطُ الذُّبابُ على العسَل فلما اصبحنا وخرجنا من الجامع قال الشيخ ماكانت البارحةُ الا ليلة عظيمة . وكانت ليلة القدر . ورأيت الرسول صَلى الله عليه وسلم وهو يقول . ياعلى طهِّر ثيابَكَ من الدنس . تحظَ بمَدَدِ الله فى كل نَفَسْ . قلتُ يارسول الله وما ثيابى . قال اعلم ان الله قد خلَع عليك خمس خلَع خلعة المحبة . وخلعة المعرفة . وخلعة التوحيد . وخلعة الايمان وخلعة الاسلام . فمن احبَّ الله هانَ عليه كلُّ شيء . ومن عَرَفَ الله صَغُر لديه كلُّ شيء . ومن وحَّد الله لم يُشركْ به شيئاً . ومن آمن بالله أَمِنَ من كلِّ شيء . ومن اسلم لله قلَّما يعصيه . وان عصاه اعتذر اليه . وان اعتذر اليه قَبِلَ عذره . ففهمت حينئذٍ معنى قوله عز وجلّ وثيابك فطهر . وقال الشيخ ابو العبَّاس . لما اتيت من مرسية ونزلت بتونس وانا اذ ذاك شابٌّ سمعت بذكر الشيخ ابى الحسن الشاذلى فقال لى رجل امضِ بنا اليه . فقلت حتى استخير الله تعالى . فنمت تلك الليلة فرايت كانى اصعدُ الى رأس جبل فلما علوت فوقه رأيت هناك رجلاً عليه برنس اخضر وهو جالس وعن يمينه رجلٌ وعن يساره رجلٌ فنظرت اليهِ فقال عثَرْتَ على خليفة الزمان . قال فانتبهت فلما كان بعد صَلاة الصبح اتانى الرجل الذى دعانى الى زيارة الشيخ فَسِرْتُ معه

فان وجدتم منهلاً اعذبَ من هذا المنهل فَرِدُوه. وكان لكل مريدٍ معه سبيلٌ يحمله عليه فيسلك بكُلٍّ احدٍ من السبيلِ الذى يناسبه . وكان يأمر اصحابه بالجمع على محبته والصِّدق فى العبودية وترك التدبير والاختيار مع الربوبية . والاخذ بالعلم . وايثار الله تعالى بالمحبة . والانقطاع عن كل شىء سواه . وكان لا يأمرُ احداً بترك حرفته او تجارته بل يعرفه الطريق وهو باقٍ على حالته . ولذا قيل فى وصفه انه مسهِّلُ الطريقة على الخليقة . وكان اذا رأى مريداً دخل فى اورادٍ بنفسه وهواه اخرجه منها . وكان لا يحب المريد الذى لا سبب له . وعلى هذا جرت أتباعهُ الى يومنا هذا . ومناقبه رضى الله عنه اشهر من ان تذكر . وله كرامات لا تعدُّ ولا تحصر . واحزابٌ وادعية كثيرة . وكلامٌ فى الحقائق باهرٌ قلَّ ان تجد فى كلام الاولياء مثله . ومن طريقه الاعراض عن لبس الزّى والمُرقّعات لان هذا اللباس ينادى على صاحبه انا فقيرٌ فاعطونى شيئاً وينادى على سر الفقير بالافشاء . فمن لبس الزىّ فقد ادّعى . قال الامام الشعرانى وليس مراد الشيخ ان يعيب على الفقراء لبس الزى وانما مراده انه لا يلزم كل من كان له نصيب مما للقوم ان يلبس ملابس الفقراء فلا حرج على اللابس للخشن ولا على اللابس للناعم اذا كان من المحسنين والاعمال بالنيات انتهى

وكان يامرُ اصحابه بتبريد الماء وشربه ويقول انكم اذا شربتم الماء بارداً نطق كل عضوٍ فيكم بالشكر لله تعالى . وكان يقول ليس هذا الطريق بالرهبانية ولا باكل النخالة والشعير وانما هو بالصبر على الاوامر

واليقين فى الهداية قال تعالى وجعلناهم ائمةً يهدون بامرنا لمّا صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون . وكان لا ينهى عن اكل الطعام الطيب والنوم على الفراش اللين لان الله لا يعذب على راحةٍ يصحبها التواضعُ والشكر . ولكن يعذب على تعب يصحبهُ السخط والكبر . فرضى الله تعالى عنه وعنّا به ونفعنا بعلومه فى الدارين . وبه اتوسّلُ الى الله تعالى واقول *

إنّ الامامَ الشاذلىَّ المرتضَى * بحرٌ من التحقيقِ والعِرْفانِ
سارتْ به سفُنُ الرجاء فنالَهَا * خيرٌ وقد أَمنتْ من الطُّغيانِ
وبغايةِ الحُسْنَى احاطَ ولم تحِطْ * بكمالِ غايتِهِ الُو الاذهانِ
فانقلْ على اثارِهِ قَدَماً تجدْ * ربحاً بلا تعبٍ ولا خُسرانِ
وبه تمسَّكْ يامريدُ فإنه * بابُ الوصولِ لحضرةِ الاحسَانِ
قطبٌ على فَلَكِ العُلا انوارُه * ظهرتْ ظهورَ الشمسِ فى الاكوانِ
جلّتْ مراتبُه وليسَ لفضلهِ * حدٌّ يقومُ به ثناءُ لسانِ
وله المناقبُ والكراماتُ التى * اغنَتْ بشهرتِهَا عن التِّبيَانِ
فاقصِدْ مناهلَهَ التى راقتْ وكنْ * مُتمتّعاً باليُمنِ والايمانِ
وببابِهِ قِفْ لحظةً تلقَ المُنى * وتَفُزْ بفيضِ مواهبِ المنّانِ
إنى الوذُ به واسألُهُ الرضا * واقولُ خذْ بيَدِ الفقيرِ العانى
ياملجأَ الفقراء يا سندَ الورَى * ياذا المكارِمِ يا علىَّ الشّانِ
بكَ مصطفى يرجُو النَّجاةَ فقُلْ له * لا تخشَ مكروهاً بكلِّ زمانِ
فقَدِ التجَا بك واستجارَ وكلُّ مَن * بكَ يستجيرُ فإنهُ بامانِ

واحزابُه مشهورةٌ منها الحزب الكبير المسمى بحزب البر وفيه يقولُ

الشيخ قدس الله سره من قرأ حزبنا فله مالنا وعليه ماعلينا

ومنها حزبُ البحر . وحزبُ الآيات . وحزبُ الفتح المشهور بالبركات . وحزبُ اللطف . وحزب النصر . وحزبُ الكفاية . وحزبُ الشكوى . وجميعُ هذه الاحزاب وغيرها من ادعية الشيخ جامعةٌ بين إفادة العلم وآداب التوجُّه . وتعريفِ الطريقة . وتلويحِ الحقيقة . وذكر جلال الله تعالى وعظمته وكبريائِهِ . وذكرِ حقارةِ النفس وخِسّتها . والتنبية على خِدَاعها وغَوَايتها . والاشارةِ لوصف الدنيا والخلق . وطريق الفرار من ذلك ووجه حصوله . والتذكيرِ بالذنوب والعيوب . والتنصُّلِ منها مع الدلالة على خاص التوحيد وخالصِهِ واتباع الشرع ومطالبِهِ فهى تعليمٌ فى قالب التوجُّه . وتوجهٌ فى قالب التعليم . وقد شهد شاهدُها بذلك عند الخاص والعام . فلا يسمع احدٌ منها شيئاً الا وجَدَ له تأثيراً فى نفسه . ولا يقرأُها الا كان مثل ذلك . مالم يكن مشغولاً ببلوى . او مشغوفاً بدنيا . او مصروفاً بدعوى . قاله العارف ابن عباد فى كتابه المفاخر العلية . وذكر بعده كثيراً من ادعية الشيخ فمن ذلك قولهُ رضى الله عنه

﴿ اللهم انى اتوسَّلُ بك اليك اللهم انى أُقسِمُ بك عليك . اللهم كما كنتَ دليلي عليك . فكُنْ شفيعي اليك . اللهم إنَّ حسناتى من عطائِك . وسيِّأتى من قضائك . فَجُدِ اللهم بما اعطيتَ على ما قضيتَ حتى تمحو ذلك بذلك . لا لِمَنْ اطاعك فيما اطاعك لهُ الشكر . ولا لمن عصاك فيما عصاك فيه له العُذر . لانك قلتَ وقولُك الحق . لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون . اللهم لولا عطاؤُك لكنتُ من الهالكين . ولولا قضاؤُك

لكنتُ من الفائزين. وانت اجلُّ واعظم. واعزُّ واكرمُ من ان تُطاع الاَّ باذنِكَ ورِضَاكَ. او أن تُعصى الا بحكمِكَ وقضاكَ. الهى ما اطعتُكَ حتى رضيتَ. ولا عصيتُكَ حتى قضيتَ. اطعتُكَ بارادتِكَ والمنَّة لكَ علىَّ. وعصيتُكَ بتقديرِكَ والحجةُ لك علىَّ. فبِوُجوبِ حجتك وانقِطاعِ حجتى الاَّ ما رحمتنى. وبفقرى اليك وغناكَ عنى الاَّ ما كفيتنى. يا ارحم الراحمين. اللهم انى لم آتِ الذنوبَ جرأةً منى عليك ولا استخفافاً بحقك. ولكن جرى بذلك قلمُكَ ونفذ به حكمُكَ. واحاط به علمُكَ. واحصاهُ كتابُكَ. ولا حول ولا قوة الاَّ بكَ. والعذر اليك وانت ارحم الراحمين * ﴿ومنها﴾ الهى مننتَ علىَّ بالايمان والمحبةِ والطاعةِ والتوحيد واحاطتْ بىَ الغفلةُ والشهوةُ والمعصيةُ وطرحَتْنى النفسُ فى بحر الهوى فهى مظلمةٌ وعبدكَ محزونٌ مهمومٌ مغموم. قد التقَمهُ نونُ الهوى وهو يُناديك نِداءَ المحبوبِ المعصوم نبيكَ وعبدِكَ يونُس ابنِ متَّى. ويقولُ لا اله الا انت سبحانك انى كنتُ من الظالمين. فاستَجِبْ لى كما استجبتَ له وأَيِّدْنى بالمحبَّةِ فى محلِّ التَّفريد والوحْدةِ وأَنبِتْ علىَّ اشجارَ اللطفِ والحنان. فانك انت الله الملِكُ المنَّان. وليسَ لى الاَّ انت وحدكَ لا شريك لك ولستَ بمخلفٍ وعْدَكَ لمن آمنَ بكَ. اذ قلتَ وقولُكَ الحقُّ فاستجبنا له ونجَّيناه من الغَمِّ وكذلك نُنجى المومنين. ﴿وقال﴾ اللهم انك لم تُشهِدْنا على خلقِنَا ولا خلق انفُسِنا ولم تتخذ احداً من المُضلِّين عضُدا. ولم يكن لك شريكٌ ولم يكن لك ولىٌّ من الذلِّ كبَّرتَ نفسكَ قبل ان يكبِّركَ المكبِّرون.

وعظّمتَ وجودَكَ قبل ان يُعظمكَ المعظمونَ . نسألك بالتعظيم الذى ليس له سببٌ ولانسب ان ترزُقنا عزًّا لاذلّ بعده . وغنىً لا فقر معه . وأُنساً لا كدرَ فيه . وأَمناً لاخوفَ بعده . وأَسعِدْنا باجابة التوحيدِ فى طاعتِكَ حسب ماكنّا يوم الميثاق الاوّل فى قبضتِكَ انك على كلّ شىء قديرٌ

﴿ ومن ادعيته ﴾ ياعزيزُ ياحليمُ . ياغنىُّ ياكريمُ . يا واسعُ ياعليمُ . ياذا الفضل العظيم . اجعلنى عندك دائمًا . وبك قائمًا . ومن غيرِكَ سالِما . وفى حبّكَ هائمًا . وبعظمتكَ عالما . وأَسقِطِ البينَ بينى وبينَكَ حتى لا يكونَ شىءٌ اقرب الىَّ منك . ولا تحجبنى بك عنك . انك على كُلِّ شىء قدير .

﴿ ومن ادعيته ﴾ اللهم ياجامعَ الناسِ ليوم لاريبَ فيه إِجْمَع بينى وبين طاعتك . على بساط مشاهدَتِك . وفرِّق بينى وبين همِّ الدنيا وهمِّ الآخرة ونُبْ عنى فى امرِها . واجعلْ همّى انت واملأْ قلبى بمحبتك ونوِّرهُ بانوارِكَ وخشِّع قلبى بسلطان عظمتك ولا تكِلْنى الى نفسى طرفةَ عينٍ ولا اقلَّ من ذلك . وأَصْلِح لى شأنى كلّه انك على كل شىء قدير .

وقال ياموجودُ قبل كلّ موجود . يااولُ ياآخرُ ياظاهرُ ياباطنُ ضاقت علىَّ نفسى . وضاقت علىَّ الارض بما رحُبتْ . ولاملجأَ ولامَنجا الااليك . فاغفرلى وارحمنى . وتُب علىَّ لأَتوبَ . لاتوّاب غيرك انك انت التواب الرّحيم ﴿ ومن ادعيته ﴾ اللهم ان الدنيا حقيرة حقيرٌ ما فيها وان الاخرة كريمة كريمٌ مافيها . وانت الذى حقّرت الحقيرَ وكرّمتَ الكريم .

فأنى يكون كريماً من طلب غيرك . ام كيف يكون زاهداً من اختار الدنيا معك . فحققنى بحقائق الزهد حتى أستغنى بك عن طلب غيرك وبمعرفتك حتى لا احتاج الى طلبك . الهى كيف لا يصل اليك من طلبك . ام كيف يفوتك من هرب منك . فاطلبنى برحمتك ولا تطلبنى بنقمتك . يارحيم يامنتقم انك على كل شيء قدير . وقال فى حزب البحر . اللهم انا نسئلك الخوف منك والرجاء فيك والمحبة لك والشوق اليك . والأنس بك . والرضاء عنك . والطاعة لأمرك على بساط مشاهدتك . ناظرين منك اليك . وناطقين بك عنك . لا اله الا انت سبحانك . ربنا ظلمنا انفسنا وقد تبنا اليك قولا وعقداً فتب علينا جودا وعطفاً واستعملنا بعمل ترضاه وأصلح لنا فى ذريتنا إنا تبنا اليك وإنا من المسلمين . الهى كم من حسنة ممن لا تحب لا اجر لها . وكم من سيئة ممن تحب لاوزر لها . فاجعل سيآتى سيآت من احببته ولا تجعل حسناتى حسنات من ابغضته . فان كرم الكريم مع السيآت اتم منه مع الحسنات . فأشهدنى كرمك على بساط رحمتك . ورضنى بقضائك وصبرنى على طاعتك فيما اجريت على من امرك ونهيك وأوزعنى شكر نعمتك وغطنى برداء عافيتك حتى لا أشرك بك غيرك وامنن على بالفهم عنك انك على كل شيء قدير . الهى معصيتك نادتنى بالطاعة . وطاعتك نادتنى بالمعصية . ففى ايهما اخافك وفى ايهما ارجوك . ان قلت بالمعصية قابلتنى بفضلك فلم تدع لى خوفا . وان قلت بالطاعة قابلتنى بعدلك فلم تدع لى رجاء فليت شعرى كيف أرى احسانى مع احسانك . ام كيف

اجعلُ فضلك مع عصياني لك . (قاف جيم) سرّانِ من سرك وكلاهما دالاّنِ على غيرك . فبا لسر الجامع الدالّ عليك لاتدعني لغيرك انك على كل شيء قدير . وقال في حزب البرّ ياالله ياالله ياالله يالطيف يارزاق ياقويّ ياعزيز لك مقاليد السموات والارض تبسطُ الرزق لمن تشاء وتقدِر فابسط لنا من الرزق ما توصلنا به الى رحمتِكَ ومن رحمتك ماتحُول به بيننا وبين نِقَمك ومن حلمك ما يسعُنا به عفوُك . واختم لنا بالسعادة التي ختمت بها لاوليائك . واجعل لنا برزخاً بيننا وبين اعدائِكَ . واجعل خير أيامنا واسعدها يوم لقائك وزحزحنا في الدنيا عن نار الشهوة . وأدخِلنا بفضلك في ميادين الرحمة . واكسُنا من نورك جلابيبَ العِصْمة . واجعل لنا ظهيراً من عقولنا . ومهيمناً من ارواحنا ومسخراً من انفسنا كي نسبّحك كثيراً ونذكرك كثيرا انك كنتَ بنا بصيراً . وهبْ لنا مشاهدةً تصحبها مكالمة . وافتح اسماعنا وابصارنا واذكرنا اذا غفلنا عنك باحسن ما تذكرنا به اذا ذكرناك . وارحمنا اذا عصيناكَ بأتم ممّا ترحمنا به اذا اطعناك . واغفر لنا ذنوبنا ما تقدم منها وما تأخر . والطف بنا لطفاً يحجبنا عن غيرِكَ ولا يحجبنا عنك فانك بكُلِّ شيء عليم . يامن هو هو هو في علوّه قريب . ياذا الجلال والاكرام يامحيطا بالليالي والايّام . اشكو اليك من غمّ الحجاب . وسؤ الحساب وشدة العذاب . وان ذلك لواقع ما له من دافع ان لم ترحمني . لااله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين . ولقد شكا اليكَ يعقوبُ فخلصتَهُ من حُزنه . ورددْتَ عليه ما ذهب من بصره . وجمعت بينه

وبين ولده. ولقد ناداك نوحٌ من قبلُ فنجيته من كربه. ولقد ناداك ايوبُ من بعدُ فكشفت ما به من ضره. ولقد ناداك يونس فنجيته من غمّه. ولقد ناداك زكريّا فوهبت له ولداً من صلبه. بعد يأس اهله وكبر سنّه ولقد علمتَ ما نزل بابراهيم فانقذته من نار عدوه. وانجيت لوطاً واهلهُ من العذاب النازل بقومه. فها انا ذا عبدك ان تعذبنى بجميع ما علمتَ فانا حقيق به. وان ترحمنى كما رحمتهم مع عظيم أَجْرامى فانت اولى بذلك واحقُّ من اكرم به. فليسَ كرمكَ مخصوصاً بمن اطاعك واقبل عليك. بل هو مبذولٌ بالسَّبق لمن شئتَ من خلقك وان عصاك وأَعرض عنك. وليسَ من الكرم ان لا تُحسِن الا لمن احسَن اليك. وانت المفضالُ الغنىّ. بل من الكرم ان تحسن الى من اساء اليك. وانت الرحيمُ العلىُّ. كيف وقد امرتنا ان نحسِنَ الى من اساء الينا فانت اولى بذلك منّا. ربنا ظلمنا انفسَنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين ﴿وقال﴾ فى حزب اللطف اللهُمَّ يامن لطفه بخلقه شاملٌ. وخيره لعبده واصلٌ. لاتخرجنا عن دائرة الالطاف. وآمنّا من كل ما نخاف. وكن لنا بلطفك الخفىّ الظاهر ياباطنُ ياظاهرُ يالطيف. نسأَلك وِقايةَ اللطف فى القضاء. والتسليمَ مع السلامة عند نزوله والرضاء. اللهم انك انت العليمُ بما سبق فى الازل فخفّنا بلطفك فيما نزل. يالطيف لم يزل. واجعلنا فى حصنِ التحصُّنِ بك يا اول. يامن اليه الالتجاء وعليه المعوَّل. الهنا لطفت بنا قبل كوننا ونحن للطف غير محتاجين أَفتمنعُنا منه مع الحاجةِ اليه وانت ارحمُ

الراحمين . حاشا لطفُك الكافى وجودُك الوافى . الهنا لطفُك هو حِفظُك اذا رعيْت . وحِفْظك هو لطفُك اذا وقيت . فأَدْخِلنا سُرادِقات لطفك واضْرِب علينا اسرارَ حفظك يالطيفُ نسأَلك اللطفَ ابدا . ياحفيظُ قِنا السوَّ وشرَّ العِدا . يالطيفُ من لعبدك العاجزِ الخائفِ الضعيف . اللهم كما لطفتَ بى قبل سوآلى وكونى كن لى لاعلىَّ ياأَمينُ وعونى . اللهُ لطيفٌ بعباده يرزقُ من يشاء وهو القوىُّ العزيز آنسنى بلطفك يالطيف . آنسِ الخائفَ فى حال المخيف تأَنَّستُ بلطفك يالطيف . وُقيتُ بلطفِكَ الرَّدى . وتحجبتُ بلطفك منَ العدا . يالطيفُ ياحفيظُ والله من ورائهم محيط بل هو قران مجيدٌ فى لَوحٍ محفوظ . نجوْتُ من كل خطبٍ جسيم . بقول ربى ولا يؤدُهُ حفظهما وهو العلى العظيم . سَلِمتُ من كل شيطانٍ وحاسِد بقول ربى وحفظاً من كل شيطانٍ مارد . كُفيتُ كلَّ همٍّ فى كل سبيل بقولى حسبى الله ونعم الوكيل

ومن كلامه رضى الله تعالى عنه . عليك بالاستغفار وان لم يكن هناكَ ذنبٌ . واعتبر باستغفار النبىّ صلى الله عليه وسلم بعد البشارة واليقين بمغفرة ما تقدم من ذنبهِ وما تأَخر هذا فى معصوم لم يقترف ذنباً قط وتَقدَّس عن ذلكَ فما ظنك بمن لايخلو عن العيب والذنب فى وقتٍ من الاوقات . وكان رضى اللهُ عنه يقول اذا عارض كشفُك الكتابَ والسُّنَّة فتمسك بالكتاب والسنة و دع الكشف . وقل لنفسك ان الله ضَمِنَ لى العصمة فى الكتاب والسنة ولم يضمنها لى فى جانب الكشف ولا الإلهام ولا المشاهدة مع انهم اجمعوا على انه لا ينبغى العمل بالكشف

ولا الالهام ولا المشاهدة الابعد عرضه على الكتاب والسنة . وكان يقول كل علم تسبق اليك فيه الخواطر وتميل اليه النفس فارم به وان كان حقاً وخذ بعلم الله الذى انزله على رسوله واقتد به وبالخلفاء والصحابة والتابعين من بعده وبالائمة الهداة المبرئين عن الهوى ومتابعته تسلم من الشكوك والظنون والاوهام والدعاوى الكاذبة المضلة عن الهدى وحقائقه وما ذا عليك ان تكون عبداً لله ولا علم ولا عمل حسبك من العلم العلم بالوحدانية ومن العمل محبة الله تعالى . ومحبة رسوله ومحبة الصحابة واعتقاد الحق للجماعة . قال رجل متى الساعة يارسول الله . قال ما اعددت لها قال لا شئ الا انى احب الله ورسوله فقال صلى الله عليه وسلم ﴿ المرء مع من احب ﴾ وكان رضى الله عنه يقول ارجع عن منازعة ربك تكن موحداً . واعمل باركان الشرع تكن سنياً واجمع بينهما تكن محققاً وكان يقول رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله ماحقيقة المتابعة فقال رؤية المتبوع عند كل شئ ومع كل شئ وفى كل شئ . وكان يقول من دعا الى الله تعالى بغير مادعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو بدعى . وكان يقول اذا لم يواظب الفقير على حضور الصلوات الخمس فى الجماعة فلا تعبأن به . وكان يقول لايتم سلوك سبيل القوم الا بصحبة اخ صالح اوشيخ ناصح . وكان يقول الزم جماعة المؤمنين وان كانوا عصاة فاسقين . واقم عليهم الحدود واهجرهم رحمة بهم لا تعززاً عليهم وتقريعاً لهم . وكان يقول ان كنت مؤمناً موقناً فاتخذ الكل عدوًا كما قال ابراهيم

عليه الصّلاة والسلام فإنهم عدوٌّ لى الا ربَّ العالمينَ . وكان يقول اذا اردتَ الوصول الى الطريق التى لا لوم فيها فليكن الفرق فى لسانك موجودا والجمعُ فى سرك مشهوداً . وكان يقول اياك والوقوع فى المعصية المرة بعد المرة فان من تعدّى حدود الله فهو الظالم والظالم لا يكونُ اماماً . ومن ترك المعاصى وصبر على ما ابتلاه الله وايقن بوعدِ الله ووعيده فهو الامامُ وان قلّت اتباعهُ . وكان رضى الله عنهُ يقول لا تختر من امرٍ شيئاً واختر ان لا تختارَ وفِرَّ من ذلك المختارِ فِرارك من كل شيءٍ الى الله تعالى وربك يخلق ما يشأُ ويختار ما كان لهم الخيرة وكل مختارات الشرع وترتيباته فهى مختارُ الله ليسَ لك منه شيء ولا بدَّ لكَ منه فاسمع وأَطع وهذا موضع الفقه الربانى والعلم الالهى وهى ارضٌ لعلم الحقيقة المأخوذة عن الله تعالى لمن استوى فافهم . وقال رضى الله عنه سأَلت استاذى الشيخ عبد السلام قدس الله سره عن قوله صلى الله عليه وسلم ﴿ المومنُ لا يذلُّ نفسَهُ ﴾ فقال لى لهواهُ . وكان يقول اوصانى استاذى رحمه الله تعالى فقال حدِّد بصر الايمان تجد الله فى كل شيءٍ وعند كل شيء ومع كل شيء وفوق كل شيءٍ وقريباً من كل شيءٍ ومحيطا بكلِّ شيء بقربٍ هو وَصْفُه وباحاطةٍ هى نعتُه وَعَدِّ عن الظرفية والحدود وعن الاماكن والجهات وعن الصُّحبة والقُرب بالمسافات وعن الدور بالمخلوقات وامحقِ الكلَّ بوصفه الاولِ والاخرِ والظاهرِ والباطن وهو هو كان اللهُ ولا شيء معه وهو الان على ما كان عليه . وقال اوصانى حبيبي ان لا تنقل قدميك الَّا حيث ترجو ثواب الله ولا تجلس الَّا حيث

تأمنُ غالباً من معصية الله ولا تصاحب الاَّ من تستعين به على طاعة الله ولا تصطَفِ لنفسكَ الا من تزدادُ به يقيناً بالله ﴿ وقليلٌ ماهم ﴾ وقال اوصانى استاذى رحمه الله تعالى فقال اهرب من خير الناس اكثر من شرهم فان شرهم يصيبُك فى بدنك وخيرهم يصيبك فى قلبك ومن كلام سيدى عبد السلام شيآن قلمَّا تنفع معهما كثرة الحسنات. السخط لقضاء الله والظلم لعباد الله . وحسنتان قلَّما تضر معهما كثرةُ السيآت الرضاء بقضاء الله والصَّفح عن عباد الله . و من كلامه رضىَ الله عنه وهو من الجوامع الحمد لله اما بعد فانى احمد اليكم الله الذى لا اله الاَّ هو واوصيكم بوصيَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن استوصاه اذ قال عليه السَّلام ﴿ إِتَّقِ الله حيثما كنت وأَتْبع السيئةَ الحسنة تمحُها وخالقِ الناس بخُلقٍ حسن ﴾ وقال لمن استوصاه قل ربى الله ثمَّ استقم . وقال له رجلٌ ياسيدى وَظِّفْ علىَّ وظائفَ واوراداً فغضبَ رضى الله عنه وقال أرسولٌ انا فاوْجب الواجبات الفرائض معلومة والمعاصى مشهورة كن للفرائض حافظاً وللمعاصى رافضا واحفظ قلبكَ من إرادة الدنيا وحب النساء وحب الجاه وإيثار الشهوات واقنع من ذلك كله بما قسم الله لك اذا خرج لك مخرج الرضاء فكن فيه لله شاكراً واذا خرج لك مخرج السخط فكن عنه صابرا وحبُّ الله قطبٌ تدور عليه الخيرات وأصلٌ جامع لانواع الكرامات وحصول ذلك كله اربعة صدق الورع وحسن النية واخلاص العمل وصحبة اهل العلم ولا تتم لك هذه الجملة الا بصحبة اخٍ صالحٍ او شيخٍ ناصح انتهى

وعظّمتَ وجودَكَ قبل ان يُعظمكَ المعظمونَ . نسألك بالتعظيم الذى ليس له سببٌ ولانسب ان ترزُقنا عزّاً لاذلّ بعده . وغنىً لا فقر معه . وأُنساً لا كدرَ فيه . وأمْناً لاخوفَ بعده . وأسعِدْنا باجابة التوحيدِ فى طاعتِكَ حسب ما كنّا يوم الميثاق الاوّل فى قبضتِكَ انك على كلّ شىء قديرٌ

﴿ ومن ادعيته ﴾ ياعزيزُ ياحليمُ . ياغنىُّ ياكريمُ . يا واسعُ ياعليمُ . ياذا الفضل العظيم . اجعلنى عندك دائما . وبك قائما . ومن غيركَ سالِما . وفى حبّكَ هائما . وبعظمتكَ عالما . وأسقِطِ البينَ بينى وبينَكَ حتى لا يكونَ شىءٌ اقرب الىّ منك . ولا تحجبنى بك عنك . انك على كُلِّ شىء قدير .

﴿ ومن ادعيته ﴾ اللهم ياجامِعَ الناسِ ليوم لاريبَ فيه إجْمَع بينى وبين طاعتك . على بساط مشاهدَتك . وفرِّق بينى وبين همِّ الدنيا وهمِّ الآخرة ونُبْ عنى فى امرهما . واجعلْ همى انت واملأْ قلبى بمحبتك ونوِّره بانوارك وخشِّع قلبى بسلطان عظمتك ولا تكِلْنى الى نفسى طرفةَ عينٍ ولا اقلّ من ذلك . وأَصْلِح لى شأنى كلّه انك على كل شىء قدير .

وقال ياموجود قبل كلّ موجود . يااولُ ياآخرُ ياظاهرُ ياباطنُ ضاقت علىّ نفسى . وضاقت علىّ الارض بما رحُبتْ . ولاملجأ ولامَنجا الااليك . فاغفرلى وارحمنى . وتُب علىّ لأتوبَ . لاتوّاب غيرك انك انت التواب الرحّيم ﴿ ومن ادعيته ﴾ اللهم ان الدنيا حقيرة حقيرٌ ما فيها وان الاخرة كريمة كريمٌ مافيها . وانت الذى حقّرتَ الحقيرَ وكرّمتَ الكريم .

فأنى يكون كريماً من طلب غيرك . ام كيف يكون زاهداً من اختار الدنيا معكَ . فحققني بحقائق الزهد حتى أستغني بكَ عن طلب غيركَ وبمعرفتكَ حتى لا احتاج الى طلبكَ . الهى كيف لايصلُ اليك من طلبك . ام كيف يفوتُك من هربَ منك . فاطلُبنى برحمتكَ ولا تطلبنى بنقمتكَ . يارحيمُ يامنتقم انك على كل شيء قدير . وقال فى حزب البحر . اللهم انَّا نسئلُكَ الخوفَ منك والرجآءَ فيك والمحبةَ لك والشوقَ اليك . والأُنس بكَ . والرضاء عنك . والطاعة لأمركَ على بساط مشاهدتكَ . ناظرين منك اليك . وناطقين بك عنك . لااله الاانت سبحانك . ربنا ظلمناانفسَنا وقد تبنا اليك قولا وعقداً فتب علينا جودا وعطفاً واستعملنا بعملٍ ترضاه وأصلح لنا فى ذريتنا إنَّا تبنا اليك وإنَّا من المسلمين . الهى كم من حسنةٍ ممن لا تحبُّ لا اجرَ لها . وكم من سيئةٍ ممن تحب لاوزرَ لها . فاجعل سيآتى سيآت من احببتَه ولا تجعل حسَناتى حسناتِ من ابغضتَه . فان كرمَ الكريم مع السيآت اتمُّ منه مع الحسنات . فأشهِدْنى كرمكَ على بساط رحمتكَ . ورضِّنى بقضآئك وصبرنى على طاعتك فيما اجريتَ علىَّ من امركَ ونهيك وأوْزعنى شكرَ نعمتك وغطِّنى برداء عافيتك حتى لاأُشركَ بك غيركَ وامنن علىَّ بالفهم عنك انك على كل شيء قدير . الهى معصيتُكَ نادتنى بالطاعة . وطاعتك نادتنى بالمعصية . ففى ايهما اخافُك وفى ايهما ارجوكَ . ان قلتُ بالمعصية قابلتنى بفضلك فلم تَدَعْ لى خوفا . وان قلت بالطاعة قابلتنى بعدلك فلم تَدَعْ لى رجاءً فليتَ شعرى كيف أرى احسانى مع احسانك . ام كيف

اجهلُ فضلك مع عصيانى لك . (قاف جيم) سرّانِ من سرك وكلاهما
دالاّنِ على غيرك . فبا لسر الجامع الدالّ عليك لاتَدعْنى لغيرك انك
على كل شيء قدير . وقال فى حزب البرّ ياالله ياالله ياالله يالطيف يارزاق
ياقوىُّ ياعزيز لك مقاليد السموات والارض تبسطُ الرزق لمن تشاء
وتقْدِر فابسط لنا من الرزق ما توصلنا به الى رحمتِكَ ومن رحمتك
ماتحُول به بيننا وبين نِقَمك ومن حلمك ما يسعُنا به عفوُك . واختم
لنا بالسعادة التى ختمت بها لاوليائك . واجعل لنا برزخاً بيننا وبين
اعدائِكَ . واجعل خير أيامنا واسعدها يوم لقائك وزحزحنا فى الدنيا
عن نار الشهوة . وأدخِلنا بفضلك فى ميادين الرحمة . واكْسُنا من نورك
جلابيبَ العِصْمة . واجعل لنا ظهيراً من عقولنا . ومهيمناً من ارواحنا
ومسخراً من انفسنا كى نسبّحك كثيراً ونذكرك كثيرا انك كنتَ بنا
بصيراً . وهب لنا مشاهدةً تصحبها مكالمة . وافتح اسماعنا وابصارنا
واذكرنا اذا غفلنا عنك باحسن ما تذكرنا به اذا ذكرناك . وارحمنا اذا
عصيناكَ بأتم ممّا ترحمنا به اذا اطعناك . واغفر لنا ذنوبنا ما تقدم منها
وما تأخر . والطف بنا لطفاً يحجبنا عن غيركَ ولا يحجبنا عنك فانك
بكُلِّ شيء عليم . يامن هو هو هو فى علوّه قريب . ياذا الجلال والاكرام
يامحيطا بالليالى والايّام . اشكو اليك من غمّ الحجاب . وسوء الحساب
وشدة العذاب . وان ذلك لواقع ما له من دافع ان لم ترحمنى . لااله الا
انت سبحانك انى كنت من الظالمين . ولقد شكا اليكَ يعقوبُ
فخلصتهُ من حُزنه . ورددْتَ عليه ما ذهب من بصره . وجمعت بينه

وبين ولده . ولقد ناداك نوحٌ من قبلُ فنجيته من كربه · ولقد ناداك
ايوبُ من بعدُ فكشفت ما به من ضره . ولقد ناداك يونس فنجيته
من غمّه · ولقد ناداك زكريّا فوهبت له ولداً من صلبه . بعد يأس اهله
وكبر سنّه ولقدعلمتَ ما نزل بابراهيم فانقذته من نار عدوه . وانجيت
لوطاً واهلهُ من العذاب النازل بقومه . فها اناذا عبدك ان تعذبنى
بجميع ما علمتَ فانا حقيق به . وان ترحمنى كما رحمتهم مع عظيم أَجْرامى
فانت اولى بذلك واحقُّ من اكرم به . فليسَ كرمكَ مخصوصاً
بمن اطاعك واقبل عليك . بل هو مبذولٌ بالسَّبق لمن شئتَ من
خلقك وان عصاك وأَعرض عنك . وليسَ من الكرم ان لا تُحسِن
الا لمن احسَن اليك . وانت المفضالُ الغنىّ . بل من الكرم ان تحسن
الى من اساء اليك . وانت الرحيمُ العلىُّ . كيف وقد امرتنا ان نحسنَ
الى من اساء الينا فانت اولى بذلك منّا . ربنا ظلمنا انفسَنا وان لم تغفر
لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين ﴿ وقال ﴾ فى حزب اللطف اللهُمَّ
يامن لطفه بخلقه شاملٌ . وخيره لعبده واصلٌ . لاتخرجنا عن دائرة
الالطاف . وآمنّا من كل مانخاف . وكن لنا بلطفك الخفىّ الظاهر
ياباطنُ ياظاهرُ يالطيف . نسأَلك وِقايةَ اللطف فى القضاء · والتسليمَ
مع السلامة عند نزوله والرضاء · اللهم انك انت العليمُ بما سبق فى
الازل خفَّنا بلطفك فيما نزل · يالطيف لم يزل · واجعلنا فى حصنِ التحصُّنِ
بك يا اول · يامن اليه الالتجاء وعليه المعوَّل . الهنا لطفت بنا قبل كونِنا
ونحن للطف غير محتاجين أَفتمنعُنا منه مع الحاجةِ اليه وانت ارحمُ

الراحمين . حاشا لطفك الكافى وجودك الوافى. الهنا لطفك هو حفظك اذا رعيت . وحفظك هو لطفك اذا وقيت . فأدخلنا سرادقات لطفك واضرب علينا اسرار حفظك يالطيف نسألك اللطف ابدا . ياحفيظ قنا السوء وشر العدا . يالطيف من لعبدك العاجز الخائف الضعيف . اللهم كما لطفت بى قبل سوآلى وكونى كن لى لا علىّ ياأمين وعونى . الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوى العزيز آنسنى بلطفك يالطيف . آنس الخائف فى حال المخيف تأنست بلطفك يالطيف . وقيت بلطفك الردى . وتحجبت بلطفك من العدا . يالطيف ياحفيظ والله من ورائهم محيط بل هو قران مجيد فى لوح محفوظ . نجوت من كل خطب جسيم . بقول ربى ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم . سلمت من كل شيطان وحاسد بقول ربى وحفظاً من كل شيطان مارد . كفيت كل هم فى كل سبيل بقولى حسبى الله ونعم الوكيل

ومن كلامه رضى الله تعالى عنه . عليك بالاستغفار وان لم يكن هناك ذنب . واعتبر باستغفار النبى صلى الله عليه وسلم بعد البشارة واليقين بمغفرة ما تقدم من ذنبه وما تأخر هذا فى معصوم لم يقترف ذنباً قط وتقدس عن ذلك فما ظنك بمن لا يخلو عن العيب والذنب فى وقت من الاوقات . وكان رضى الله عنه يقول اذا عارض كشفك الكتاب والسنة فتمسك بالكتاب والسنة ودع الكشف . وقل لنفسك ان الله ضمن لى العصمة فى الكتاب والسنة ولم يضمنها لى فى جانب الكشف ولا الإلهام ولا المشاهدة مع انهم اجمعوا على انه لا ينبغى العمل بالكشف

ولا الالهام ولا المشاهدة الابعد عرضه على الكتاب والسنة . وكان يقول كلُّ علمٍ تسبقُ اليك فيه الخواطرُ وتميلُ اليه النفسُ فادم بهِ وان كان حقاً وخُذ بعلم الله الذى انزله على رسولهِ واقتدِ بهِ وبالخلفاء والصّحابة والتابعين من بعده وبالائمة الهُداةِ المبرئِين عن الهوى ومتابعته تسلم من الشكوك والظنون والاوهام والدعاوى الكاذبة المضلّةِ عن الهدى وحقائقه وما ذا عليك ان تكون عبداً للّه ولا علم ولا عمل حسبُكَ من العلمِ العلمُ بالوحدانية ومن العمل محبة الله تعالى . ومحبة رسوله ومحبة الصّحابة واعتقاد الحق للجماعة . قال رجلٌ متى الساعة يارسول الله . قال ما اعددتَ لها قال لا شيءَ الا انى احب الله ورسوله فقال صلى الله عليه وسلم « المرء مع من احبّ » وكان رضى الله عنه يقولُ ارجع عن منازعة ربك تكن موحّداً . واعمل باركانِ الشرع تكن سنيّاً واجمع بينهما تكن محققاً وكان يقول رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله ماحقيقة المتابعة فقال رؤية المتبوع عند كل شيء ومع كل شيء وفى كلّ شيء . وكان يقول من دعا الى الله تعالى بغير مادعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهوَ بدعىٌّ . وكان يقول اذا لم يواظب الفقيرُ على حضور الصّلوات الخمس فى الجماعة فلا تعبأنّ به . وكان يقول لايتم سلوك سبيل القوم الا بصحبة اخٍ صالحٍ اوشيخ ناصح . وكان يقول الزم جماعة المؤمنين وان كانوا عصاةً فاسقين . وأَقِمْ عليهم الحدودَ واهجرهم رحمةً بهم لا تعززاً عليهم وتقريعاً لهم . وكان يقول ان كنت مؤمناً موقناً فاتخذِ الكلّ عدوّاً كما قال ابراهيم

عليه الصّلاة والسلام فإنهم عدوٌّ لى الا ربَّ العالمينَ . وكان يقول اذا اردتَ الوصول الى الطريق التى لا لوم فيها فليكن الفرق فى لسانك موجودا والجمعُ فى سرك مشهوداً . وكان يقول اياك والوقوع فى المعصية المرة بعد المرة فان من تعدّى حدود الله فهو الظالم والظالم لا يكونُ اماماً. ومن ترك المعاصى وصبر على ما ابتلاه الله وايقن بوعد الله ووعيده فهو الامامُ وان قلّت اتباعهُ . وكان رضى الله عنهُ يقول لا تختر من امرٍ شيئاً واختر ان لا تختارَ وفرَّ من ذلك المختارِ فرارك من كل شىء الى الله تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة وكل مختارات الشرع وترتيباته فهى مختارُ الله ليسَ لك منه شىء ولا بدَّ لكَ منه فاسمع وأطع وهذا موضع الفقه الربانى والعلم الالهى وهى ارضٌ لعلم الحقيقة المأخوذة عن الله تعالى لمن استوى فافهم . وقال رضى الله عنه سألت استاذى الشيخ عبد السلام قدس الله سره عن قوله صلى الله عليه وسلم ﴿ المومنُ لا يذلُّ نفسَهُ ﴾ فقال لى لهواهُ . وكان يقول اوصانى استاذى رحمه الله تعالى فقال حدِّد بصر الايمان تجد الله فى كل شىء وعند كل شىء ومع كل شىء وفوق كل شىء وقريباً من كل شىء ومحيطا بكلِّ شىء بقرب هو وَصْفُه وباحاطةٍ هى نعتُه وَعَدِّ عن الظرفية والحدود وعن الاماكن والجهات وعن الصُّحبة والقُرب بالمسافات وعن الدور بالمخلوقات وامحقِ الكلَّ بوصفه الاولِ والاخرِ والظاهرِ والباطن وهو هو كان اللهُ ولا شىء معه وهو الان على ما كان عليه . وقال اوصانى حبيبى ان لا تنقل قدميك الّا حيث ترجو ثواب الله ولا تجلس الّا حيث

تأمنُ غالباً من معصية الله ولا تصاحب الاَّ من تستعين به على طاعة الله ولا تصطَفِ لنفسكَ الا من تزدادُ به يقيناً بالله ﴿ وقليلٌ ماهم ﴾ وقال اوصانى استاذى رحمه الله تعالى فقال اهرب من خير الناس اكثر من شرهم فان شرهم يصيبُك فى بدنك وخيرهم يصيبك فى قلبك ومن كلام سيدى عبد السلام شيآن قلَّما تنفع معهما كثرة الحسنات. السخط لقضاءِ الله والظلم لعباد الله . وحسنتان قلّما تضر معهما كثرةُ السيآت الرضاء بقضاء الله والصّفح عن عباد الله . ومن كلامه رضىَ الله عنه وهو من الجوامع الحمد لله اما بعد فانى احمد اليكم الله الذى لا اله الاَّ هو واوصيكم بوصيّة رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن استوصاه اذ قال عليه السّلام ﴿ إتّقِ الله حيثما كنت وأَتْبع السيئةَ الحسنة تمحُها وخالقِ الناس بخُلقٍ حسن ﴾ وقال لمن استوصاه قل ربى الله ثمَّ استقم . وقال له رجلٌ ياسيدى وَظِّفْ علىَّ وظائفَ واوراداً فغضبَ رضى الله عنه وقال أَرسولٌ انا فاوْجب الواجبات الفرائض معلومة والمعاصى مشهورة كن للفرائض حافظاً وللمعاصى رافضا واحفظ قلبكَ من إرادة الدنيا وحب النساء وحب الجاه وإيثار الشهوات واقنع من ذلك كله بما قسم الله لك اذا خرج لك مخرج الرضاء فكن فيه لله شاكراً واذا خرج لك مخرج السخط فكن عنه صابرا وحبُّ الله قطبٌ تدور عليه الخيرات وأَصلٌ جامع لانواع الكرامات وحصول ذلك كله اربعة صدق الورع وحسن النية واخلاص العمل وصحبة اهل العلم ولا تتم لك هذه الجملة الا بصحبة اخٍ صالحٍ او شيخٍ ناصح انتهى

وقد اوضح الاستاذ الكامل سيدى الشيخ احمد زرّوق رحمه الله تعالى معالم هذه الطريقة الشريفة فى رسالته التى سمّاها بالاصول فقال اصول طريقتنا خمسة اشياء . تقوى الله فى السر والعلانية . واتباعُ السنة فى الاقوال والافعال . والإعراضُ عن الخلق فى الإقبال والإدبار. والرضاء عن الله تعالى فى القليل والكثير . والرجوع الى الله فى السراء والضراء . فتقوى الله تتحق بالورع والاستقامة . واتباع السنة يتحقق بالتحفظ وحسن الخُلُق . والإعراض عن الخلق يتحقق بالصبر والتوكل . والرضاء يتحقق بالقناعة والتفويض . والرجوع الى الله يتحقق بالشكر فى السراء والالتجاء اليه فى الضراء . واصول ذلك كله خمسة . علو الهمة . وحِفظ الحرمة . وحسنُ الخدمة . ونفوذ العزيمة وتعظيمُ النعمة . فمن علَتْ همتهُ ارتفعتْ رتبتُه . ومن حفِظ حرمة الله حُفِظَتْ حرمتُه . ومن حَسُنَت خِدمتُه وجبت كرامتُه . ومن نفذَتْ عزيمتُه دامت هدايتهُ . ومن عظَّمت النعمة فى عينه شكرها ومن شكرها استوجب المزيد من المنعم بها حسبما وعده الصادق . واصولُ المعاملات خمسة . طلبُ العلم للقيام بالاوامر واجتناب المناهى . وصحبة المشايخ والاخوان للتبصر . وتركُ الرخص والتأويلات للتحفظ . وضبط الاوقات بالاوراد للحضور . واتهام النفس فى كل شىء للخروج من الهوى والسلامة من العطب . فطلب العلم آفتهُ صحبة الأحداث سنًّا وعقلاً ودينًا ممن لا يرجع الى اصلٍ ولا قاعدة . وآفةُ الصحبة الإغترار والفضولُ . وآفة ترك الرخص والتأويلات الشفقة على النفس . وآفةُ

ضبط الاوقات إتساع النظر فى العمل . وآفة اتهام النفس الأنس بحسن احوالها واستقامتها . وقد قال تعالى وان تَعْدِل كلّ عدلٍ لا يؤخذ منها . وقال سيدنا يوسف صلوات الله تعالى عليه وما ابرئ نفسى ان النفسَ لأمّارة بالسوء الا ما رحم ربى . وآدابُ المريد مع الشيخ خمسة اتباعُ الامر وان ظهر له خلافُه . واجتنابُ النهى وان كان فيه حتفُه . وحفظ حرمته غائباً وحاضراً . والقيام بحقوقه حسب الامكان بلا تقصير . وعزل علمه ورياسته الا ما يوافق ذلك من شيخه وآدابُ المريد مع الاخوان خمسة . حسن المعاملة . وبذل النصيحة . وصدق المحبة . (وعلامتها المبادرة الى مصالحة اخيه اذا اغضبه) وبذل المعونة له فى كل ضرورة . ودوام المواصلة . وشروط الشيخ الذى يُلقى المريد نفسه اليه خمسة علم صحيح . وذوق صريح . وهمة عالية . وحالة مرضية . وبصيرة نافذة . ومن كان فيه خمسة لا تصلحُ مشيختُه الجهل بالدين واسقاط حرمة المسلمين ودخولهُ فيما لا يعنيه واتباع الهوى فى كل شئ وسوء الخلق بغير مبالاة . واصولُ ما تُداوى به علل النفس خمسة تخفيف المعدة بقلة الطعام والشراب . والالتجاء الى الله تعالى مما يعرض عند عروضه . والفرار من مواقف ما يخشى الوقوع فيه . ودوامُ المراقبةِ والذكرِ والفكرِ والاستغفارِ والصّلاةِ على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وصحبةٍ من يدلك على الله تعالى بحاله ومقاله . الى أن قال رضى الله عنه وقد رأيت فقراء هذا العصر ابتلوا بخمسة اشياء . إيثار الجهل على العلم . والاغترارِ بكل ناعق . والتهاوُنِ فى الامور . والتعزُّزِ

بالطريق . واستعجالِ الفتح دونَ شرطه ٠ فابتلوا بخمسة ٠ إِيثار البدْعة على السنة . واتباعِ اهل الباطل دونَ اهلِ الحق ٠ والعملِ بالهوى فى كل امرٍ او فى اجلِّ الامور ٠ وطلبِ التُّرهَاتِ دونَ الحقائق ٠ وظهور الدعاوى دونَ صدق ٠ فظهروا بذلك فى خمسة اشياء ٠ الوسوسةِ فى العبادات ٠ والاسترسالِ مع العادات ٠ والسماع والاجتماع فى عموم الاوقات ٠ واستمالةِ الوجوه بحسب الامكان . وصحبة ابناءِ الدنيا حتى النساء والصبيان ٠ واغتروا بوقائع القوم فى ذلك وذكروا احوالهم ولو تحققوا لَعلِمُوا ان الوسوسةَ بدعةٌ اصلها جهلٌ بالسنة او خَبلٌ فى العقل وأَنَّ السماعَ رخصةُ المغلوب او راحةُ الكامل وان التوجهَ لإِقبال الخلق إِدبارٌ عن الحق وأَنَّ صحبةَ الاحداث ظلمةٌ وعارٌ فى الدنيا والدّين وكلٌّ من ادّعى مع الله تعالى حالاً ثم ظهرت منه احدى خمسٍ فهو كذابٌ او مسلوبٌ ٠ ارسال الجوارح فى معصية الله ٠ والتصنع فى طاعة الله ٠ والطمع فى خلق الله ٠ والوقيعة فى اهل الله . وعدم احترام المسلمين على الوجه الذى امر الله ٠ وقلَّ ما يُختم له على الاسلام ثم قال نفعنا الله باقواله ٠ وينبغى لك مطالعة هذه الاصول فى كل يومٍ او فى كل جمعةٍ حتى تنطبع معانيها فى نفسك ويقع تصرفُك على مقتضاها فقد قيل ٠ انما حُرموا الوصول من تضييع الاصول ٠ ومن تأمل ما قلناه عرف ذلك ٠ انتهى باختصار

والحاصل ان مبنى طريق السّادة الشاذلية على الاستقامة التّامة والجمع على الله تعالى والحضور فى موقف العبوديّة وموافقة الكتاب

والسنة فى كل نَفَسٍ وخطرةٍ ووارد وحال والعمدةُ فيها صحبة اهل المعرفة والعلم وكثرةُ الذكر مع الحضور . ومشايخُها رضى الله عنهم هم سَراةُ الفضل واعلام الهدى القائمون باوامر الله تعالى الحافظون حدوده الآمرون بها والنَّاهون عن كل ما لا يرضاه كبقيَّة ائمة الطرق الشريفة وكلٌّ منهم فى ذلك اشهر من نارٍ على عَلَم فلا عبرةَ بمن يدَّعى الانتساب اليهم ولا يقتدِى باقوالهم وافعالهم ولا يقدح هذا فى كمالهم . قال تعالى من يهدِ الله فهو المهتدِ ومن يضلل فلن تجد له وليًّا مرشداً . ﴿ وعلى آثارهم سار حضرةُ وارثهم الأوحدِ شيخِنا ومرشدِنا علىٍّ القدر والشان امدَّنا الله بمدده ﴾ . فانه دائمًا يأمر المنتسبين اليه بالاتباع واجتناب الابتداع حتى فى رسائله اليهم . ولقد قال غيرَ مرةٍ انى برئٌ فى الدنيا وفى الآخرة من كل من يخالف الكتاب والسنة . ولما كنتُ فى حضرته سأله بعض الحاضرين هل يجوز الانكار على احدٍ من المريدين فقال نعم اذا تعدَّى حدود الشرع . وقيل له ان البعض يُأَولون كلامك بما يوافق مشاربهم . فقال ان كلامى صريح لا يُأَوَّل فاسمعوا ما اقولُ لكم . قلتُ ولقد صدق قدس الله سره فان بعض العارفين كان يقول اذا صحبتم كاملاً فلا تأَوِّلوا له كلاماً الى غير مفهومه الظاهر لان الكاملين لا يسترون لهم كلاماً ولا حالاً اذ التدبير من بقايا تدبير النفس وحظها وقال لنا تناصحُوا فان النبى صلى الله عليه وسلم قال . الدين النصيحة . ثم قال ومن رأيتموه من اخوانكم حائداً عن طريق الاستقامة

فانصحوه سرّاً برفق ولطف . قال تعالى فقولا له قولاً ليناً .
فان لم يسمع اولاً وثانياً فانصحوه فى الثالثة علناً وان اصرّ على
المخالفة فاطردوه ولا تقبلوه معكم واهجروه هجراً جميلاً

وسمعته يقول ان احدكم اذا وقف بين يدي صاحب مقام
يتأدّب غاية الادب . فاذا وقفتم فى حضرة الذكر فتأدبوا ولا
تصيحوا واعلموا انكم بين يدى الله تعالى *

وكتب الى بعض اخواننا من اهل العلم والفضل خارج بيروت
بلغنى ان فلاناً فسدت احواله وخرج عن الميزان الشرعى فأعلموا
وأَعلِمُوا الجميع انه مطرود من طريقتنا الشريفة هو وكل من وافقه
على فساده وافعاله المخلة بالشرع الشريف واوصيكم ان تَزِنوا احوال
الفقراء على الكتاب والسنة وكل من رأيتم منه مخالفة فانتم مأذونون
بطرده ولا تعطوا الطريقة الا لمن وجدتم فيه الاهلية ورأيتموه متمسكاً
بالشريعة الطاهرة المرضية وكتب لى يقول كل طريقةٍ تخالفُ
الكتابَ والسنة فهى زندقة وباطلة فدُمْ ياولدى على ما انت عليه ولا
تأخذك فى الله لومة لائم ومن الآن اوصيك وانهضُ همتك ان تكون
باذلاً النصيحة لاخوانك وحَرِّض كافة اولادى الفقراء بطرفكم على
اتباع الكتاب والسنة والعمل بما يرضى الله تعالى ويرضى رسوله صلى
الله عليه وسلم وعرفهم عن لسانى انه لا وصول الى الله تعالى الا
باتباع اوامره واجتناب نواهيه وان كل من تعدى الحدود الشرعية
لا نعرفه من اهل طريقنا . واخبرنى بعض الاخوان قال سمعته يقول .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تمسّك بسنتى عند فساد امتى وجبتْ له شفاعتى . فعليكم باتباع السُّنة وعلى قدر المحبة يكون الوصول وحدثنى بعض المشائخ قال لما قدمت عليه واخذت عنه الطريق وصرت من جملة مريديه قلت له يا سيّدى انى مأذون بعدة طرق فقال لى . احفظ يحفظك ربى . ورأيته مع جلالة قدره واقبال الناس عليه فى غاية التواضع لا يترفع على احد من خلق الله تعالى ولا ينسب لنفسه شيئاً لا تجده الاّ مادحاً غيرهُ ومظهراً لفضلِ مشايخه وغيرهم من الاولياء يعظمهم اذا ذكرهم ويحترم الناس وينزلهم منازلهم ولا يحتقر صغيراً ولا كبيراً ويخرج الى السوق منفرداً ولا يصحب معه احداً الا لحاجة ويتفقّد الزائرين له ويكسو الفقراء من ثيابه وغيرها ولا يردُّ سائلاً وقف ببابه وكلٌّ من رآه احبَّه وله هيبةٌ عظيمةٌ واخلاقٌ كريمة وباعٌ طويل فى التصوف والعرفان وهِمّةٌ عالية لا تتوجه الا الى الله تعالى وعنده صبرٌ باهر وثباتٌ لا تزعزعه عواصفُ النوائب وقد اساء اليه قومٌ فصفح عنهم واحسن لهم . وسعى به آخرون فنصره الله عليهم . وردَّ كيدهم اليهم . وتعدّى البعضُ على جماعةٍ من اتباعه وآذوهم فما لبثوا قليلاً الاّ واحوجهم الله تعالى اليه فأتوا لجنابه معتذرين ولاذوا به فساعدهم على قضاء حوائجهم واغضى عن اعمالهم فهو سيدٌ كريمٌ مفضال مطبوع على الحلم والرأفة والشفقة مقبلٌ على الله تعالى معرضٌ عن الدنيا كلما اتاه منها شئٌ بذله وانفقه فى سبيل الله تعالى وقد بنى عِدَّة زوايا للذكر فى جهاتٍ شتَّى وعنده

حرصٌ عظيم على الصّلاح والفلاح واتحاد القلوب فلا يأمر الاّ بالتوادد والتعاضد والمحبة والادب والاحتشام والاستقامة وحسن السلوك والاجتماع على التقوى والذكر وما يقرب الى الله سبحانه فالطريق فى عصره الجديد زاهرة . ومجالس الذكر بوجوده السعيد عامرة . وبالجملة فان كمالاته وسجاياه المحمديّة مشهورةٌ وقد مدحه كثيرٌ من شعراءِ العصر وفضلائه وكلٌّ اثنى عليه على حسَب معرفته فيه فمنهم جناب العالم الفاضل والاديب الكامل الشيخ قاسم ابى الحسن افندى الكستى البيروتى حيث قال حفظه الله تعالى

يا مَن تحيَّر فى شدائد امرهِ * وعليه قد جارتْ حوادث دهرهِ
لذ بالعليِّ اليشرطيِّ فإنَّه * يلقى الصريخُ به ازالةَ ضرّهِ
قطبٌ به فلك الحقيقة مشرقٌ * وضياؤهُ ملأَ الوجود بأَسرهِ
زادتْ طريقُ الشاذلّي برشده * فضلاً واضحتْ غرَّةً فى عصرهِ
لو كان فى السّلف القديم لخلدُوا * بصحائفِ الدنيا محاسِنَ ذكرهِ
وبعمر نوحٍ لو يجودُ له القضا * كنّا نروم زيادةً فى عمرهِ
هو من كنوز الله فى ملكُوته * ملآنٌ من عمل الصّلاح وأَجرهِ
فى كل قلبٍ طاهرٍ تلقى لـهُ * حبّاً صحيحاً واقياً من كسرهِ
قد أَشبهَ المصباحُ فى مشكاته * نوراً بدا من قلبه فى صدرهِ
ويرى بعين الكشف ما هو واقعٌ * فى الكون من عُسرِ المعاش ويسرهِ
متواضعٌ بين الأَنام وانما * كان التواضعُ رفعةً فى قدرهِ
ان حلَّ فى الارض الجديبة أَمرعتْ * وزَهتْ كما يزهو الربيعُ بزهرهِ

كم جرّ شخصاً للسّعادة بعدما * قد كان اشقى من ثمود بوزرهِ
تسعى رجالُ الله نحو جنابهِ * زمراً ليقتبسوا اشعّة فكرهِ
فى ذاته يلقى دليلاً واضحاً * لمكارم الأخلاق من لم يدرهِ
مولًى به المسترشدُون تقربوا * لله واغتنموا عوائِدَ برِّهِ
لم يعترفْ بالفضل من لم يغترفْ * بيد العناية غرفةً من بحرهِ
سِيماهُ من أثرِ السُّجود بوجههِ * تزهو فتنبئُ عن طهارة سرهِ
فمنِ استجار به يُجارُ وإن يكنْ * ما بين ناب أبى الشِّبال وظُفرهِ
يسَعُ الكثيرَ مِنَ الوفود مكانهُ * ويضيقُ ظرفُ زمانه عن شكرهِ
هذا الذى ادركتهُ من وصفهِ * ووقفتُ عجزاً عن تتمَّةِ خُبرِهِ
والعفو يُرجى للمقصِّر حيثما * يأتى مقرًّا للكريم بعذرهِ

وَلْنقتصِرْ على هذا القدر فان مقصودنا بيان طريقته لا غير وقد اتينا بهذه النبذة اليسيرة من كلامه وكلام بعض رجال سلسلته المباركة لتعلم ان طريقهم رضى الله تعالى عنهم مشيدةٌ بالكتاب والسنة ومبنية على سلوك اخلاق الانبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم اجمعين. وأنّ كل من ادّعى هذه الطريقة وخالف المرشد فهو خارج عنها ونسبته اليها غير صحيحة *

ولم نتعرّض لذكر الكرامات التى جرت على ايديهم لان الكرامة الحقيقية انما هى حصولُ الاستقامة للعبد ومرجعُها الى امرين صحة الايمان بالله تعالى واتباع ما جاء به النبيُّ صلى الله عليه وسلم ظاهراً وباطناً هكذا قالوا فالواجب على المريد ان يفتخر بكرامات اهل

طريقه من هذه الجهة لا من جهة خوارق العادات كطى الارض والمشى على الماء والطيران فى الهواء وجعل الحجارة ذهباً وغير ذلك مما يحجبه عن مولاه ويجعله عبداً لسواه . لا جرمَ أَن الكاملين من الاولياء يفرّون من هذه الامور الى ربهم عز وجل ولا يلتفتون اليها اذا ظهرت على ايديهم وربما ظهرت على المبتدئين وما ظهرت على اصحاب القوة والتمكين ولا عجب فى ذلك لان الجبال الرواسي . لا تحتاج الى مراسي . والمؤيدُ من الله تعالى بنور الهداية والرشد والاستقامة والتوفيق لا يفتقر الى ما يثبته ويرفع زلزلة الشك فيه وفى صحة طريقه لان ما هو عليه من الإِهتداء والاقتداء اعظمُ مُثبّتٍ له واكبر زاجرٍ لمن جحد فضلهُ وانكر عليه ومن الناس من يظن ان من لم تُخرق له العادةُ لا يكون وليًا وليس الامر كذلك فقد ذكر الامام تاج الدين بن عطاءالله الاسكندرى فى كتابه لطائف المنن ان الطائفة مجمعة على انه قد يكون الولىّ وليًا وان لم تُخرق العادة له وقال ان الكرمات المعنويّة كالمعرفة بالله والخشيةِ ودوامِ المراقبة له والمسارعةِ لامتثال امره ونهيه والمتابعةِ والاستماعِ من الله والفهمِ عنه ودوامِ الثقة بهِ وصدقِ التوكل عليه الى غير ذلك افضلُ واجلّ من الكرامات الحسية ونقل عن شيخه ابى العباس المرسى انه كان يقول الطىّ على قسمين طىّ اصغر وطىّ اكبر فالطى الاصغر لعامّة هذه الطائفة ان تُطوى لهم الارض من مشرقها الى مغربها فى نفَسٍ واحدٍ . والطى الاكبر طى اوصاف النفوس قال وصدق رضى الله عنه .

فان طيّ الارض لو اعجزك الله عنه او افقدك اياه ما نقص ذلك من رتبتك عنده اذا قمتَ له بالوفاء في العبوديّة وطي اوصاف النفوس لو لم تقدم عليه به لكنتَ من المغبونين• وحُشِرتَ في زمرة الغافلين وقيل لبعضهم ان فلاناً يمشي على الماء فقال عندي من مكّنه الله من مخالفة هواه اعظم من المشي على الماء والهواء • وقال ابو يزيد البسطامي قدس الله سره لو انّ رجلاً بسط مصلّاه على الماء وتربع في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه في الامر والنهي

وقال القطب الرفاعي رضي الله تعالى عنه اذا رأيتَ الرجل يطير في الهواء فلا تعتبره حتى تزنَ اقواله وافعاله بميزان الشرع • فاذا تقرر ذلك تعين على المريد ان يرفع همته عما رفعوا هممهم عنه • وان يتخلق بأخلاقهم ولا يلتفت الى ما عنه اعرضوا ولا يشغل به قلبه وإلاَّ ازداد من الله تعالى بعدًا وخسر معرفته التي هي المقصود الاعظم من الطريق . قال سيدي ابو يزيد رضي الله عنه كنت في بدايتي يُريني الحق تعالى الآيات والكرامات فلا التفت اليها فلما رأني كذلك جعل لي الى معرفته سبيلاً انتهى فيجب ان تكون الوجهة لله تعالى لا لاجل حصول الكرامة لانه اذا قصد ذلك كانت وجهته لغير الله عز وجل وأخسر بها صفقةً فانها في الحقيقة شرك وبالجملة فان حصول ما يحصل من الكرامات للاولياء رضي الله تعالى عنهم انما هو بطريق العرَضِ ولا يكون مقصودًا لهم . وكان سيدي ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه يقول • ما ثمّ كرامة اعظم من كرامة الايمان ومتابعة السنة . فمن أُعطيهما

وَجَعَلَ يشتاق الى غيرها فهو عبدٌ مفترٍ كذاب . او ذو خطاء فى العلم بالصواب . كمن أُكرِمَ بشهود الملك فاشتاق الى سياسة الدواب .
ثم لما كان من الواجب على كل مريد ان يعرف آباءه فى الطريق كان لا بد لنا قبل الدخول فى المقصود من ذكر اهل سلسلة طريقنا فنقول اخذ شيخنا الشيخ على نور الدين اليشرطى الشريف الحسنى . عن الشيخ الجليل المرشد الكامل سيدى ابى عبد الله محمد بن حمزة ظافر المدنى . عن الشيخ الشريف الحسينى ابى احمد العربى الدرقاوى عن الشيخ على العمران الملقب بالجمل . عن الشيخ العربى بن احمد ابن عبدالله . عن ابيه الشيخ احمد بن عبدالله . عن الشيخ قاسم الخصاص . عن الشيخ عبد الرحمن الفاسى . عن الشيخ محمد بن عبدالله الكبير والد سيدنا احمد . عن الشيخ يوسف الفاسى . عن الشيخ عبد الرحمن المجذوب . عن الشيخ على الصَّنهاجى . عن الشيخ ابراهيم الفحام . عن الشيخ احمد زروق . عن الشيخ احمد بن عقبة الحضرمى . عن الشيخ يحى القادرى . عن الشيخ على وفا . عن والده الشيخ محمد بحر الصَّفا . عن الشيخ داود الباخلى . عن صاحب الحكم تاج الدين احمد ابن عطاءالله الاسكندرى . عن الشيخ ابى العباس المرسى . عن الشيخ الامام ابى الحسن الشاذلى . عن القطب الشيخ عبد السلام ابن بشيش . عن الشيخ القطب عبد الرحمن المدنى المشهور بالزَّيَّات . عن الشيخ القطب تقى الدين الفقير « بالتصغير فيهما » عن القطب فخر الدين . عن القطب نور الدين ابى الحسن . عن القطب تاج الدين . عن القطب

شمس الدين محمد السيواسى • عن القطب زين الدين القزوينى • عن القطب ابى اسحاق ابراهيم البصرى • عن القطب ابى القاسم احمد المروانى • عن القطب ابى محمد سعيد • عن القطب سعد • عن القطب محمد فتح السعود • عن القطب سعيد القزوينى • عن القطب ابى محمد جابر • عن اول الاقطاب امير المؤمنين الحسن بن فاطمة الزهراء عن ابيه امير المؤمنين على بن ابى طالب • رضى الله تعالى عنهم اجمعين • وهو عن سيد الاولين والاخرين صلى الله عليه وسلم • وهذه السلسلة تعرف بسلسلة الاقطاب • ولهم سلسلة خلافها يقال لها سلسلة العلماء لا حاجة الى ذكرها هنا • وقد نظمت اسماءهم مستنجداً بهم حضرة الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم • ومتوسلا الى الله تعالى بجنابه العالى فقلت *

بِكَ يستجيرُ العبدُ من هَفَواتِهِ * يا واحداً فى ذاتِهِ وصفاتِهِ
واليكَ يرفعُ راحةً ما مدّها * لسواكَ يامولايَ فى حاجاتِهِ
متوسلاً بمحمدٍ خيرِ الورى * وملاذِهِمْ بحياتِهِ ومماتِهِ
وبآلِهِ وبصحبِهِ القوم الاولى * وَصَلُوا اليك بنورِ إرشاداتِهِ
وبِبَابِهِ السامى أَبى الحسنين مَنْ * نَفَعَ الانامَ ببثِّ معلوماتِهِ
وبنجلِهِ الحسنِ الكريم وَصِنْوِهِ * هو سيد الشهداء فى درجاتِهِ
وبجابرِ المكسُورِ وارثِ فضلهِ * بسعيدِ قزْوينٍ ملاذِ عُفاتِهِ
وبسيدى فتحِ السعُودِ وسعدِهِم * مُحيي الوجودِ بغيثِ إمداداتِهِ
بسعيدهمْ وباحمدَ المروانِ والْ * بصرىِّ ابراهيمَ فى طاعاتِهِ

بالشيخ زينِ الدين ثم بشمسهِ * حامى حمى سِيواسَ فى عَزَماتهِ
وبتاجهِ وبنورهِ وبفخرهِ * مُسْتَنقِذِ الملهوفِ من شِدّاتهِ
بامَامِنَا الشيخ الفُقيّرِ من جلا * سِرَّ الغنى للناسِ فى مرآتهِ
بالسيدِ الزياتِ من قبَسَ الورى * نورَ الهدايةِ من سنا مشكاتهِ
وبسيدى عبدِ السلام المُجتَبَى * زهرُ الحقيقة من ذُرى جنّاتهِ
بالشاذلى قطبِ الهدى من نورُهُ * ملأَ الوجودَ وعمَّ كلَّ جهاتهِ
وباحمدَ المرسى ابى العبَّاسِ من * وَرثَ الخلافة منه بعد وفاتهِ
وبصَاحِبِ الحكِم الذى أهدى لنا * درراً وأَينَ الدرُّ من كَلماتهِ
بالباخلى داودَ من هو مركزُ ال * مَنطوقِ والمفهومِ فى اوقاتهِ
بمحمدٍ بحرِ الصفا وبنجلهِ * كنزِ الوفا المشهورِ فى بركاتهِ
وبسيدى يحى الذى احيا القلو * بَ بنورِهِ وبفيضِ إحساناتهِ
بالحضرمىِّ مَن اقتدى بجنابهِ * وجنى ثمارَ الفضلِ من حضراتهِ
وبسيدى زرُّوقِ القطبِ الذى * هو للهدى كالبدرِ فى هالاتهِ
بامامِنا الفحَّامِ بالصّنهاجى وا * رثه الذى قد سار فى طرقاتهِ
وبشيخنا المجذوبِ والفاسى إما * مِ زمانهِ الممتازِ فى جَذَباتهِ
بمحمدٍ وبعابدِ الرحمن من * يُرجى لصدِّ الدهر فى صدَماتهِ
بالقاسمِ الخصَّاصِ ثم بأَحمدٍ * وبنجلهِ العربىِّ فى جَلواتهِ
بعلىِّ العمرانِ بالدرقاوى مو * لانا وبالمدنىِّ فى خَلواتهِ
بولىِّ نعمتنا علىِّ القدر سا * مى الفخرِ شيخ العصر قطب سَراتهِ
بدرِ الكمالاتِ بن يشرطَ من زها * فلكُ الطريقة من سنا زُهراتهِ

فهو الذى بالفضل خُصّت ذاتُه * وبه اجتماعُ الشملِ بعد شتاته
للقوم كان تتمةً ولنا جرى * سيلُ الهدى والخيرِ من راحاته
ياسعدَ من حطّ الرّحالَ ببابهم * حرَمِ الأمان وحلّ فى ساحاته
ما للفقيرِ سواهمُ فبجاههم * يارب جُد بالعفو عن زلاّته
وعلى قويمِ طريقهم ثبتهُ يا * مولى الملا واحفظهُ من آفاته
واسلك به سُبلَ النجاحِ فإنهُ * مُستغرقُ الاوقاتِ فى غفلاته
وبهمْ أنِله ياكريمُ رجاءه * وأقله فى الدارين من عثراته
حاشاه يُضامُ من التجا بجنابهم * او ان تُراشَ لهُ سهامُ رُماته
وغدا يقولُ لسانهُ وجنانهُ * فى ايّ حالٍ كان من حالاته
هُم عدّتى ووسيلتى للمصطفى * والعبدُ ليس له سوى ساداته
وهو الوسيلةُ للجميع وكلُّهم * فَتحوا لنا ابوابَ إنعاماته
مافى الوجود سواهُ يُرجى إن دَجا * خطبٌ وعمّ الناس فى ظلماته
هو غوثُنا وامانُ كل من احتمى * بحمى عُلاهُ ولاذ فى عتباته
ماذا يقولُ المادحونَ بمدحه * وعليه اثنى الله فى آياته
إنى اناديهِ وقلبي طامعٌ * بنوالِ ما يرجوهُ من رغباته
يامن له انقادَ الوجودُ بأسرهِ * وله اليدُ البيضا على قاداته
بالباب عبدٌ قد تعدّى واعتدى * جهلاً وإنّ الجهلَ من عاداته
واطاع امر النفس فيما تبتغى * وانقادَ ممتثلاً الى شهواته
كم للخلافِ تحركتْ اعضاؤه * عفواً وكم سكنت الى حركاته
تبعَ الهوى ولرُبما يهوِى بهِ * ان لم تُدارِكهُ الى دركاته

وافاكَ والاوزارُ أحنتْ ظهره * وأتاكَ كى يرتاحَ من حملاتهِ
من ذا الذى يرجوه غيركَ فى الورى * او يَصطفيهِ وسيلةً لنجاتهِ
ما ثمَّ الّا انتَ فكن له * عوناً على اخصامه وعِداتهِ
وعليه جُدْ بالقربِ منك تكرُّماً * وامنن بمحوِ البُعدِ فى إثباتهِ
واشفعْ به حالاً وسَلْ مولاكَ توْ * فيقاً يسيرُ به الى مَرضاتهِ
مالامرىءٍ حولٌ ولا يَقوَى على * طاعاتهِ الّا بتوفيقاتهِ
صلى عليك الله ما ركبٌ سرَى * لمقامكَ المحمودِ خيرَ صلاتهِ
وعليك سلّم ما صَباصبٌّ الى * قبرِ حوالكَ وطاب من نفحاتهِ
وعلى جميع الآل والاصحابِ ما * وَصَلَ الفقيرُ لمنتهى غاياتهِ
اوقال فى بدءِ الدعاء وختمه * بك يستجيرُ العبدُ من هَفَواتهِ

واعلم ان الاوراد وُضعت بقصدِ مناجاة الحق عزَّ وجلَّ والتذلل بين يديه قياماً بحق العبودية له سبحانه. قال العلماء ولم تكن فى صدر الاسلام ولا بعده بقليل لكن جرت على ايدى اهل الله تعالى تشويقاً للمريدين الى طلب المراد وهو الحق تعالى. وفتحاً للباب حتى يدخله عموم المؤمنين وذلك لما رأوه من قِصَر الهمم وضعف العزائم واستيلاء الغفلة على القلوب وقلة اليقين ويتأكد على كل من عيَّن على نفسه ورداً من ذكرٍ او صلاةٍ او غير ذلك ان يواظب عليه ولا يتركه الا لعذر لا سيما اذا بايعه شيخه على ملازمته فان فاته شيء من اوراد الليل قضاه نهاراً وبالعكس قال القطب الدسوقى قدس الله سرَّه. ما قطع مريدٌ ورده يوماً الا قُطِع عنه المدد فى ذلك اليوم.

وهنا امورٌ اوجبوها لا بدّ من تنبيه التالى عليها . وهى انه اذا اراد تلاوة ورده يلزمه ان يستحضر شيخه ليكون رفيقه فى السير الى الله تعالى ويربط قلبه به ويجعله واسطةً الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه الواسطة بين الحق والخلق وهو باب الله الاعظم . وان يرى ان استمداده من الشيخ هو استمداده من النبى صلى الله عليه وسلم . واذا قرأ الوظيفة فلا يصرف ما فيها من الآيات والسور القرآنية عن معناها لكنه ينوى بها اموراً منها بيان السؤآل بها لمجانستها المطلوب من الاغراض وان كان الحق تعالى عالماً به لانه سبحانه يحب ان يسأل ومنها التوسُّلُ بها اليه عز وجل فقد ورد . احبُّ الكلام الىّ القرآن . وما تقرب الىّ المتقربون بافضل من كلامى . ومنها الامتثال لأمره تعالى فى الالتجاء الى القرآن فى كل امرٍ من امور الدارين فقد قال تعالى . ما فرطنا فى الكتاب من شىء . فان فى ضمنها انكم تلتجؤن اليه فان فيه جميع الحاجات الدنيوية والاخروية . وقال تعالى ونزل من القرآن ما هو شفاء . وفى ضمنها التمسوا الشفاء من الامراض الظاهرة والباطنة الى غير ذلك . والاكمل ان يكون حال التلاوة على طهارةٍ من حدثٍ وخبثٍ . مستقبلاً ان كان وحده وان كان مع اخوانه تحلّقوا ويتعين عليه ان يستأذن الله بجنانه ولسانه فى دخول حضرة مناجاته بقوله . دستور يا الله . بعد ان يستاذن الرسول صلى الله عليه وسلم فى استئذان الحق بالقول المذكور . ثم يشرعُ فى القراءة بحضور وخشوع وخضوع وانكسار وادب تامٍّ . ولا يتكلف فى

حركاته ولا يتصنع وليكن قصده التقرب الى الله تعالى دون ما سواه
والتعبد محبة له من غير التفات الى غير ذلك ۰ ويبتدئ بما ابتدأ به
الشيخ المصنف قدس الله سره فيقول

﴿اعوذ بالله من الشيطان الرجيم﴾ وها انا ذا اشرع في المقصود واقول
متوكلاً على الملك المعبود ۰ اعلم ان القصد من افتتاح هذا الورد
بالاستعاذة طرد الشيطان والاعتصام بالله منه في السرّ والاعلان
ولكونه مشتملاً على بعض آيات وسور قرانيّة فان الاستعاذة قبل
قرأة القران مندوبة عند الاكثرين لقوله تعالى فاذا قرأت القرآن اى
اردت قرأته فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ۰ ومعنى اعوذ اتحصن
واعتصم والتجىء الى الله تعالى والصق نفسي برحمته وفضله وكرمه
من الشيطان اى المتمرد اللعين المبعد من رحمة الله تعالى والمراد به
ابليس وجنوده وقيل كل متمرد مضل عن الطريق المستقيم من جنٍّ
وانس كما قال تعالى شياطين الانس والجنّ ولكن وصفه بالرجيم
يُعين انه ابليس واعوانه اى المرميّ بشهب السماء اذا قصدها قال تعالى
وجعلناها اي الكواكب رجوماً للشياطين فيكون بمعنى مرجوم
ويحتمل ان يكون بمعنى فاعل اى راجم غيره بالوسوسة والخواطر
المذمومة وفى التفسير الكبير إنّ اعوذ بالله رجوعٌ من الخلق الى
الخالق ومن الحاجة التّامة لنفسه الى الغنى التّامّ بالحق فى تحصيل كل
الخيرات ودفع كل الآفات وهذا فيه سرٌّ قوله تعالى ففروا الى الله
وفيه دلالة على انه لا وسيلة الى القرب من حضرة الرب سبحانه

الا بالعجز والعجز منتهى المقامات ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ ابتدأ بالبسملة اقتداءً بالكتاب العزيز وعملاً بقوله صلى الله عليه وسلم . كل امر ذى بالٍ لا يُبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو ابتر . او اقطع او اجزم روايات ثلاث والمعنى على كلٍّ انه ناقص وقليل البركة فهو وان تمَّ حسًّا لا يتم معنى وهذا من باب التشبيه البليغ والباء فيها للمصاحبة على وجه التبركِ او للاستعانةِ به تعالى والاول اولى مراعاةً للادب لان باء الاستعانة تدخل على الآلة فيلزم عليها توهُّم جعل اسم الله مقصوداً لغيره لا لذاتهِ والاسم مشتق من السُّمو وهو العلو لكونه يعلو مسماه . والله عَلَم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد وهذا الاسم الكريم اخصُّ الاسماء واعظمُها لانه دالٌّ على الذات الموصوفة بصفات الالوهيّة كلها ولا يُسمى به غيره تعالى . وهو اعرف المعارف والمختار عند المحققين انه الاسم الاعظم . والرحمن هو المنعم بجلائل النعم كالايمان والاسلام . والرحيم المنعم بدقائق النعم وذكرُه بعد الرحمن اشارة الى انه كما يُطلب منه تعالى الجليل يطلب منه الحقير كما فى الحديث القدسى ياموسى سلنى فى شراكِ نعلك وملح قِدرك . فهو الكريم الذى اذا سئل اعطى واذا لم يُسئل غضب . ولقد احسن من قال *

لا تسألنَّ بُنَيَّ آدم حاجةً * وسَلِ الذى ابوابه لا تحجبُ
الله يغضب ان تركتَ سؤاله * وبُنَيُّ آدم حين يُسأل يغضبُ

والرحمن الرحيم صفتان لله تعالى بُنيتا للمبالغة مأخوذتان من الرحمة

بمعنى التفضل والاحسان لا بمعناها الاصلى الذى هو رقة القلب لاستحالة ذلك عليه تعالى . والكلام على البسملة كثير . وفضائلها اشهر من ان تذكر . وقد جعلها الله تعالى شفاء من كل داء . ولذا قال سيدى الشيخ محيي الدين النووى قدّس الله سره *

غنّ لى باسم من احبّ وخلّ * كلّ من فى الوجود يرمى بسهمهْ
لا أُبالى وان اصاب فوآدى * انه لا يضر شيء مع اسمهْ

وقال بعض العارفين لما كانت الاسماء الالهيّة سبب وجود العالم وبها قامت الاكوان كانت البسملة خير ابتداء وهو ابتداء العالم فكأنه يقول بسم الله الرحمن الرحيم ظهر العالَمُ من العدم الى الوجود وخص الاسماء الثلاثة لان الحقائق تعطى ذلك . فالله هو الاسم الجامع لجميع الاسماء الالهيّة بصريح الجمعية فيطلق على اى اسم كان بقرينة المقام الا ترى ان المريض اذا قال يا الله كان مراده يا شافى . والتائب اذا قال يا الله كان مراده يا تواب وهكذا .

والرحمن صفةٌ عامّةٌ فهو رحمن الدنيا والآخرة. والرحيم اخص وأتمّ فعموم الرحمن لظهور رحمته فى سائر الموجودات . وخصوص الرحيم لاختصاص اهل السعادات به . فرحمة الرحمن قد تمتزج بالنقمة كشرب الدواء الكريه الطعم لمرارته مثلاً فانه وان كان رحمة للمريض من حيث الشفاء لكن النفس تكرههُ من حيث مرارته . ورحمة الرحيم لا يمازجها شيء فهى محضُ نعمةٍ ولا توجد الا عند اهل السعادات فافهم . ومن خواص اسم الله ان من داوم على ذكره كل يوم الف

مرة بصيغة يا الله يا هو رزقه الله كمال اليقين . ومن تلاه يوم الجمعة قبل الصلاة على طهارة ونظافة ثوب خالياً من الشواغل مائة مرة يسّر الله له مطلوبه وان كان ماكان . ومن خواص اسم الرحمن ان من اكثر من ذكره نظر الله له بعين الرحمة . ومن خواص الرحيم ان من كتبه فى ورقة احدى وعشرين مرة وعلقها على صاحب الصداع برئ باذن الله تعالى . وقالوا أودع الله جميع العلوم فى الباء اى بى كان ماكان وبى يكون ما يكون فوجود العالم بى وليس لغيرى وجود حقيقى الأ بالاسم والمجاز وهو معنى قولهم ما رأيت شيأً الا ورأيت الله فيه او قبله «اللهمّ» بمعنى يا الله فحُذف حرف النداء وعوض عنه الميم للتفخيم والتعظيم قال بعضهم وهو توجّه للمطلوب . وطلب لحصول المرغوب . بالتوسّل باسم الله الاعظم الذى اذا دُعِىَ به اجاب واذا سُئل به اعطى . وانما جُعِل هذا الاسم الشريف فى اوائل الادعية غالباً لانه جامع لجميع معانى الاسماء الكريمة كما تقدم

« صلِّ وسلم » المشهور ان الصلاة من الله تعالى الرحمة ويقال مقرونة بالتعظيم والتكريم لِتُناسِب الجناب النبوى الكريم ومن الملائكة الاستغفار ومن الآدميين التضرع والدعاء والذى حققه المحققون ان الصلاة من غيره تعالى الدعاء ولا فرق بين الملك والبشر . وهى تختلف باعتبار ما تُضاف اليه فان أُضيفت الى الله تعالى فهى الرحمة . وان اضيفت الى غيره فهى الدعاء . والسلام منه تعالى على نبيّه زيادة التحية والاكرام فيكون معنى صل وسلم ارحم رحمةً مقرونةً بالتعظيم

واجعل مزيد تحية وتكريم . وقال الحُلَيمى رحمه الله تعالى معنى الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وسلم تعظيمه فمعنى قولنا اللهمّ صل على محمّد يا الله عظم محمداً والمراد تعظيمه فى الدنيا باعلاء ذكره واظهار دينه وابقاء شريعته . وفى الآخرة باجزال مثوبته وتشفيعه فى امته وابداء فضيلته بالمقام المحمود . قال العلماء والقصد من الصلاة عليه امتثال امر الله تعالى وتصديقاً له ومحبّة فيه وتعظيما لقدره عليه الصلاة والسلام وكونه اهلاً لذلك لا انتفاعه بها وان كان المشهور انه بصلاتنا عليه يترقى فى اعالى الدرجات ويزداد كمالاً اذ ما مِنْ كمالٍ الا وعند الله اكمل منه لكن الادبُ ان لا يقصد المصلى ذلك بل يقصد التقرب الى الله تعالى بالصلاة وانتفاعه هو بها اذ المنّة له صلى الله عليه وسلم علينا لا لنا عليه وهو الواسطة العظمى لنا فى كل نعمةٍ بل هو اصل الوجود والسبب فى كل موجودٍ كما فى الحديث القدسى . لولاك لولاك لما خلقت الافلاك . واعلم انّ الصلاة عليه من اعظم القُرب وافضلها خصوصاً فى يوم الجمعة وليلتها قال صلى الله عليه وسلم . اكثروا من الصلاة علىّ فى الليلة الغراء واليوم الازهر . ولذلك ذكر بعض شراح الدلائل انه يسمع صلاة المصلى عليه فى هذه الليلة وفى هذا اليوم ويردها عليه بخلاف باقى الايام فوكل بها ملك يوصلها اليه . ومن فوائد الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ما جُرِّب من تأثيرها فى جلاء القلوب حتى قيل انها تغنى عن الشيخ فى الطريق لكن ذلك محمولٌ على مجرد التنوير واما الترقى فى درجات الولاية فلا بد

فيه من شيخ عارفٍ سالك مسالك القوم . ومن فوائدها ما فيها من التوسّل الى الله تعالى بحبيبه ومصطفاه وقد قال تعالى . وابتغوا اليه الوسيلة . ولا وسيلة اقرب ولا اعظم منه صلى الله عليه وسلم . وقد امرنا الله تعالى بها وحَضّنا عليها تشريفاً وتكريماً . وتفضيلا لجلاله وتعظيما . ووعد من استعملها حسن المآب . والفوز بجزيل الثواب . فهى من انجح الاعمال . وارجح الاقوال . وازكى الاحوال . واحظى القربات . واعمّ البركات . بها يُتوصلُ الى رضاء الرحمن . وتُنال السّعادة والرضوان . وبها تظهر البركات . وتجاب الدعوات . ويُرتقى الى اعلى الدّرجات . ويجبر صدع القلوب . ويُعفى عن عظيم الذنوب . ومنها انه صلى الله عليه وسلم محبوب الله عز وجلّ . عظيم القدر عنده . وقد صلى عليه هو وملائكتهُ . فوجبت محبّة المحبوب . ووجب التقرب الى الله تعالى بمحبتهِ وتعظيمهِ والاشتغال بحقّه والصلاة عليه والاقتداء بصلاته وصلاة ملائكتهِ عليه . ومنها ما ورد فى فضلها ووُعِدَ عليها من جزيل الاجر وعظيم الذكر وفوز مستعملها برضاء الله تعالى وقضاء حوائج آخرته ودنياه . ومنها ما فيها من شكر الواسطةِ فى نعم الله علينا المأمور بشكره . وما من نعمةٍ علينا سابقة ولا لاحقة من نعمة الايجاد ونعمة الامداد فى الدنيا والآخرة الاّ وهو صلى الله عليه وسلم السّببُ فى وصولها الينا واجرائها علينا فنعمهُ علينا تابعةٌ لنعمه تعالى ونعم الله لايحصيها عدد كما قال تعالى . وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها . فوجب حقّه علينا . ووجب ان لا نفتر عن

الصلاة عليه مع دخول كل نفسٍ وخروجه . انتهى باختصار من شرح الدلائل وغيره . وفى هذا البابِ كلام كثير واحاديث مشهورة . فعلى العاقل ان يكثر من الصلاة والسلام عليه فى الليل والنهار ﴿بجميع الشؤن﴾ اى الامور أو الاحوال أو التصرفات الكائنة ﴿فى الظهور والبطون﴾ وهما العالمان عالم الملك وعالم الملكوت وسيأتى الكلام عليهما ان شاء الله تعالى ويقال للاول عالم الشهادة وللثانى عالم الغيب ومراد الشيخ قدّس الله سره بذلك دوام صلاة الله تعالى وسلامهِ على حبيبه الاكرم مع كل فعلٍ يظهره فيهما اى ان يصلى ويسلم عليه كلما احدث امراً من الامور التى يبديها فى عوالم البطون وعوالم الظهور ولا يخفى ما فى هذا من المبالغة فى الطلب لأن شؤنه تعالى دائمة بدوامه وتصرفاته لا تزول ولا تفنى ولا تنقضى ابداً قال تعالى كل يوم هو فى شان اى كل وقت هو فى امرٍ يظهره على وفق ما قدّره فى الازل وله تعالى فى كل لحظةٍ واقلّ من ذلك شؤن وتصرفات لا يحيط بها غير علمه ولا يحصيها الا هو وحده فهو يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويعطى ويمنع ويخفض ويرفع ويهدى ويضلّ ويعزُّ ويذل ويوفق ويخذل ويولى ويعزل واليه مرجع حركات الخلق وسكناتهم باسرها وحاصلُ ماذكروه فى هذا الباب ان الله تعالى هو الذى انشأ صور الاعمال والافعال قال تعالى وما رميتَ اذ رميتَ ولكنَّ الله رمى . وقال تعالى والله خلقكم وما تعملون . وقال تعالى وقل اعملوا فسيرى الله عملكم فاثبت لنا سبحانه وتعالى عملاً من جهة الكسب وان كان

منفياً عنا من جهة الاستقلال والخلق وانما اضافه الينا لاننا محلٌ لظهوره قال الشيخ الاكبر قدّس الله سرّه الانور. ثم اذا كشف الله لنا عن بصائرنا رأينا الافعال كلها لله تعالى ولم نر الا حَسَناً فهو تعالى فى الحقيقة فاعلٌ فينا مانحن العاملون . ثم مع هذا المشهد العظيم لابد من القيام بالادب فما كان من حسنٍ شرعاً اضفناه اليه تعالى خلقاً والينا محلاً . وماكان من سيء اضفناه الينا باضافة الله تعالى فنكون حاكين قوله عز وجلّ ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئةٍ فمن نفسك وكان سيدى ابو الحسن الشاذلى يقول فى هذه الآية ما اصابك من حسنةٍ فمن الله ايجاداً واسنادا وما اصابك من سيئة فمن نفسك اسناداً لا ايجادا يشهد له قوله تعالى قل كلٌ من عند الله . وكان رضى الله عنه يقول اثبت افعالَ العباد باثبات الله تعالى ولا يضرك ذلك وانما يضرك الاثبات بهم ومنهم . وانظر الى ادب الخضر عليه السلام حيث قال فاراد ربك ان يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما . وقال فاردت ان اعيبها . وتأمل قول سَيدنا ابراهيم صلوات الله تعالى وسلامه عليه الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يُطعمنى ويسقين واذا مرضت فهو يشفين حيث نسب الهداية والاطعام والشفاء له تعالى ونسب المرض لنفسه تادبا وإلا فالكل من عند الله والعبد لا فعل له ولا اختيار ولا حق غير ان الله تعالى جعل له اكتساباً فى افعاله بان خلق له قدرةً تقارن فعله لا تأثير لها فيه . ولكن يحصل التأثير عندها وجعل له مشيئة

فى العقل تابعةً لمشيئته تعالى . قال عز قائلاً وما تشاؤن الاّ ان يشاء الله فيحس العبد بسبب ذلك التيسير وتلك المشيئةِ المخلوقين له ظاهراً من نفسه انه يفعل ويترك باختياره وهو فى التحقيق لا فعل له ولا اختيار بل ذلك كله لله الواحد القهار . ومتى لم تُخلق له تلك القدرة ولم يقع التيسير شاهد العجز كحال من سقط من علوّ ويُسَّمى فعله فى الحالة الاولى اختيارياً نظراً الى ظاهر حاله وعليها نُصِب التكليف وتوجّه الامر والنهى وهو الشرع المقتضى من العباد ويسمى فعله فى الحالة الثانية اضطرارياً وجبرياً ولا تكليف عليه فضلاً من الله تعالى وهذا كله نظراً الى ظاهر حاله ومتى نظر الى الباطن علم انه فى كل حالٍ مجبورٌ مضطرٌ معزول عن الفعل . ثم العبد مطلوب بملاحظة الجانبين الاختيار والاضطرار فمتى ورد عليه حكم من الله تعالى بان يفعل او يترك ووجد اختياراً للقيام به فهو مطلوب للقيام به وذلك هو الشريعة . ومطلوب بنسبة التأثير فيه الى الله تعالى وحده لا شريك له وذلك هو الحقيقة . فان أَهْمَلَ ألامر وتعلّل بانه لا قدرة له فقد ضيَّع الشريعة وان ادَّعى لنفسه حولاً اوقوة فقد ضيَّع الحقيقة . وان قام بالامتثال وتبرأ من الحول والقوة فقد كمُلَ . وهذا حال اهل السّنة والجماعة من كل من يقول ان العبد مجبور فى قالب مختار

وزعم قومٌ ان الحقيقة تُغنى عن اتباع الشريعة فتجاوزوا الحدود وظنوا ذلك كمالاً ووصولاً فضلوا وأَضلوُّا لان كل حقيقةٍ تخالف الشريعة فهى باطلة باجماع اهل الحقِّ . وقد شبَّهوا الشريعةَ بالسفينةِ والطريقة

بالبحر والحقيقةَ بالدر وقالوا من اراد الدر ركب فى السفينة ثم شرع فى البحر ثم وصل الى الدر . ومن ترك هذا الترتيب لا يصل الى الدر . وشبَّه بعضهم الحقيقةَ بالثمرة والطريقةَ بالشجرة ولاشكَّ ان الثمرة تنعدم بانعدام الشجرة وليستِ الطريقةُ الاَّ عبارة عن العمل بالشريعة . قال القطب الرفاعى قدس الله سره الطريق ان تقول آمنت بالله ووقفت عند حدود الله وعظمتُ ما عظَّم الله وانتهيتُ عما نهى الله . ولا طريق بعد هذا ابدا اذ ليس بعد الحق الا الضلال انتهى . والشريعة هى المأمورات التى امر الله بها والمنهيَّات التى نهى عنها فالطريقة والحقيقة كلاهما متوقف على الشريعة لا يستقيمان ولا يحصلان الا بها والمؤمن وان علت درجته وارتفعت منزلته وصار من جملة الاولياء لا تسقط عنه العبادات المفروضة فى الكتاب والسنّة . ومن اعتقد ان من وصلَ الى الحقيقة سقطت عنه الشريعة فهو ضالٌّ مضلٌّ ملحد . والعبادات لم تسقط عن الانبياء حتى تسقط عن الاولياء وقد صحَّ عنه صلى الله عليه وسلم انه قامَ فى العبادة حتى تورَّمت قدماه . ومن كلام القطب الربانى سيدى الشيخ عبدالقادر الجيلانى قدس الله سره ونفعنا به تركُ العبادات المفروضات زندقة وارتكابُ المحظورات معصية لا تسقطُ الفرائض عن احدٍ فى حال من الاحوال وكان رضى الله تعالى عنه يقول كل حقيقةٍ لا تشهد لها الشريعة فهى باطلة انتهى *

ولو تحقق الناظرون الى الحقيقة وحدها وتأملوا قوله تعالى .

واتقوا الله ويعلمكم الله . لعلموا انهم من اجهل الجاهلين بالله كيف لا وقد قال تعالى . ان تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً اى فهماً فى قلوبكم تاخذونه عنه وهل تقوى الله تعالى الا باتباع اوامره واجتناب نواهيه . واىُّ عاقلٍ يقول بان العبد المنهمك فى شهواته الذى لا يُبالى بعصيان سيده ولا يغار على انتهاك حرماته يكون اهلاً لحمل اسراره واستجلاء انواره كلاَّ والله ان وجود تلك العيوب فى ذلك العبد المدّعى لعلم الحقيقة لمن اكبر الادلّة على افلاسه منها وأنهُ ليس على شىءٍ . قال الامام بن عطاء الله فى لطائف المنن واعلموا ان الله تعالى اودع انوار الملكوت فى اصناف الطاعات فمن فاته من الطاعات صنف او أعوزه من الموافقة جنسٌ فقد من النور بمقدار ذلك فلا تُهملوا شيئاً من الطاعات . ولا تستغنوا عن الاوراد بالواردات . ولا ترضوا لانفسكم بما رضى به المدّعون من جرىِ الحقائق على السنتهم وفقد انوارها من قلوبهم لان الحق بحكمته جعل الطاعة الجارية على العباد مُسْتَقرعةً لباب الغيب فمن قام بالطاعة والمعاملة بشرط الادب لم يحجبِ الغيبُ عنه . وانما حجابُ الغيوب . وجود العيوب والتطهرُ من العيب . يفتح لك باب الغيب . ولا تكن ممن يطلب الله لنفسه ولا يطالب نفسه لله فذلك حال الجاهلين الذين لم يفهموا عن الله ولا واجههم المدد من الله والمؤمن ليس كذلك . قلت . وهذا مذهب اهل الحقيقة وارباب الحق فاتبعه اذا اردتَ السلامة من موارد القطيعة . واصحب من يدلك عليه . وتجنّب من يخالف الشرع ويدعى التحقيق والمعرفة ولا تكن ممن

غرهم بالله الغرور . فان من دخل حضرة الشهود . لا يتعدى الحدود .
ولا يقول انا مطلقٌ من القيود . حاشا لله ما علمنا على اهل هذا المقام
من سوء . وقد ذكر بعضهم ان اهل الكشف اجمعوا على انه لا يصح
لعارفٍ ان يعصى الله تعالى حال الكشف والشهود ابداً فان علمه بان
الله تعالى يراه يمنعه من الوقوع . ثم لو فُرض ان العاصى يشهد ان الله
يراه حال المعصية فلا بد ان يشهده غير راضٍ عنه فى تلك المعصية .
ولما قيل لابى يزيد البسطامى ايعصى العارف . قال وكان امر الله قدراً
مقدورا . فلم يقل لا يعصى ولا انه يعصى ادباً مع الله تعالى . ومعنى
وكان امر الله قدراً مقدورا . ان معصية اهل الله بحكم القدر النافذ
فيهم لا غير . ولا يصح فى حقهم ان يقعوا فى المعاصى قطُّ بشهوتها
كما يقع فيها غيرهم لان ذلك انتهاكاً لحرمات الله تعالى واهل الله
محفوظون من شهوة المعاصى والتلذذ بها فان الايمان المكتوب فى
قلوبهم يمنعهم من ذلك . واذا وقع من احدهم ذنبٌ تاب واناب
واعترف بما اقترف . ومع كونه لا يجهل ان الفاعل الحقيقى هو الله
وحده لا يقول انا غير مذنب اذا خالف الشرع لان الحق تعالى سماه
فى هذه الحالة عاصياً ومذنباً فهو يقول بقول سيده قياما بحق
العبودية له سبحانه . وهذا العبد هو الذى يَصْدُق عليه اسم العارف
بالله تعالى ويوصف بالتحقيق واما من يَستَخِفُّ باوامر الله عز وجل
ويعتقد ان المنقادين اليها محجوبون عنه ويرى الاعتراف بالذنب امراً
منكراً فهو اجهل من تيسٍ اعمى فى سفينة وكلٌّ من انقاد الى

خزعبلاته وهذيانه فهو اجهل منه . ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور . وفى ذلك قلت *

عجباً لمن يعصى اوامرَ ربّهِ * ويقولُ لستُ بمذنبٍ من عُجبهِ
ويرى خِلافَ الشرع تحقيقاً ولا * ينقادُ جهلاً بالطريق لحِزْبهِ
ويقولُ إنى مطلقٌ من قيدهِ * فَدَعِ المقيَّد هائماً فى حجبهِ
ويظنُّ مع هذا الضَّلال بأنَّهُ * عرَف الهدى ودرى نهايةَ دربهِ
وبأنه ممَّنْ يحبِّ الله قد * فازوا وقد سلكوا مسالِكَ قُربهِ
هيهاتَ هَيهاتَ المحبُّ حقيقةً * والله لايعصى اوامرَ حِبّهِ
والمهتدون العارفون بربهم * لا يجهلون وليسَ فيهم ما بهِ
فاتْرُكْ مُصاحبةَ الذى هو مثله * تلقَ الامانَ من الزمانِ وحربهِ
واصحبْ اذا رُمتَ الهدى من يقتدى * بالمصطفى هادى الورى وبصحبه
فالأَجْرَبُ المغرورُ تلتزِمُ النُّهَى * عنه التجنُّب خيفةً من خطبه
واخو الفِطَانةِ ليس يسلكُ مسلكاً * حتى يُميزَ سهلَهُ من صعبهِ

وأقول انَّ من كان متصفاً بتلك الصِّفات والعياذ بالله تعالى كان مجذوم القلب وهو الذى يجب عليك ان تفرَّ منه كما امرك الشارع صلى الله عليه وسلم بقولهِ فِرَّ من المجذوم فرارك من الاسد لان مجذوم الباطن اضر من مجذوم الظاهر كما لا يخفى والله الموفّق وهو الهادى الى سواء السبيل ﴿ علَى مَنْ ﴾ اى الذى وهو عائدٌ على حضرة الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم . وانما لم يُصرِّح باسمه الكريم للعِلْم به فانه العَلَمُ الذى لايشتبه والمتميز الذى لا يلتبس واشارة لمزيد تعظيمه ايضاً

اذ الابهام قد يؤتى به للتعظيم كما فى قوله تعالى فغشيهم من اليمّ ماغشيهم ﴿منه انشقت الاسرارُ﴾ جمعُ سرٍّ وهو الامر المكتوم الخفى والمراد به هنا ماخفِيَ على العوام واختصَّتْ به الخواص . وقوله انشقّت بمعنى اشتُقت وأُخذت عنه اذ هو صلى الله عليه وسلم شمسُ سماء العلوم والمعارف . ومصباحُ مشكاة اللطائف والعوارف . وما من فضلٍ تحلّى فيه كل كامل . الاَّ وهو مُستمَدٌّ من فضله الشامل . كما قال الامام البوصيري . ولله دره من قائل *

* كلٌّ فضلٍ فى العالمين فمن فضْ * لِ النبيِّ استعاره الفضلاء *

﴿ الكامنة فى ذاته العلية ظهوراً ﴾ اي الساكنةُ فى حقيقته الشريفة الرفيعة الكامنةُ فيها كمونَ المعنى فى اللفظ او الروح فى الجسم حيث أُدرِجَتْ فيه صلى الله عليه وسلم جميع الكمالات وأُخفِيَ فيه من الفضائل ما يعلو به ابد الآبدين على سائر الموجودات . فهو مدينةُ العلم وعُنصر ينابيع الحكمة . ومنه تشعَّبت موارد المعارف الى هذا العالم لإِحيائه وما احسن قول العارف بالله تعالى سيدى على وفا قدس الله سره فى ذلك *

* ينابيعُ علم الله منه تفجَّرَتْ * ففى كل حَيٍّ منه لله منهَلُ *

وقوله ظهوراً بمعنى بروزاً يحتمل ان يكون مفعولاً لاجله اى لاجل ظهورها فى وقتها المعين وهو اقرب الاحتمالات ﴿ وانفلقت الانوار المنطوية فى سماء صفاته السنية بدوراً ﴾ هذه الفقرة قريبةٌ من الاولى وتعبيره اولاً بانشقّت وثانياً بانفلقت تفنُّنٌ منه رضى الله تعالى

عنه ودفعاً للثقل والمراد بالسماء فى قوله المنطوية فى سماء صفاته الذات الشريفة اى فى ذاته التى هى كالسماء المشتملة على صفاته المشرقة المضيئة التى هى كالبدور جمع بدر وهو القمر التامّ وعليه يكون قوله بدوراً حال من الصفات . ويحتمل ان يكون المراد تشبيه صفاته بالسماء وان الانوار (المعنوية) ظهرت منها مظاهر البدور بالنظر الى انها اى صفاته صلى الله عليه وسلم اصلٌ لكل صفةٍ محمودةٍ ظهرت فى العالم فهى بهذا الاعتبار محلٌ لانتشار الانوار وهى منطويةٌ فيها انطواء الاسرار فى الارواح قياساً على التجريد الذى ذكره الابوصيرى رضى الله تعالى عنه بقوله *

* وبدا للوجود منك كريمٌ * من كريمٍ آباؤه كرماء *

وهذا اولى وان كان الاول اظهر من حيث كون الذات محل الصفات . وان شئت فقل معنى انشقت الاسرار وانفلقت الانوار انفتحت ابوابُ الحقائقِ الكونيّة . والرقائقِ الحسيّة والمعنوية اى اتّضَحتْ وظهرتْ وهوالحق كما لايخفى لان جميع الاشياء على اختلاف انواعها كانت قبل وجوده صلى الله عليه وسلم مغلقةً لا وجود لها ثم وُجِدت بوجوده فتكون مِنْ فى قوله منه انشقت ابتدائية اى نشأت من نوره وشاهد هذا قوله صلى الله عليه وسلم اولُ ماخلق الله نورى ومن نورى خلق كل شىء الحديث المشهور المروى عن جابر بن عبد الله الانصارى رضى الله عنه وعليه يكون معنى كمون الاسرار فى ذاته العلية وانطواء الانوار فى سماء صفاته

السنية هو وجودها فى دائرة النور المحمديِّ الشريف الذى هو قطبُ مدارها وكنزُها ومحلُّها الذى منه ظهرت وعنه صدرت وامتدَّت كما تمتد الشجرةُ عن اصلها ويكون قوله ظهوراً تعليلاً للكامنة اى الكامنة فى حقيقته النورية لاجل ظهورِها شيئاً فشيئاً بحسب ما اقتضته المشيئة الالهية ويحتمل ان تكون مِن تعليليّة اى انشقت الاسرار وانفلقت الانوار من اجل وجوده فقد رُوي ان الله تعالى قال لآدم عليه السلام لولا محمدٌ ما خلقتك ولا خلقت سماء ولا ارضاً فيكون معنى الكمون والانطواء ان الاشياء كانت معدومةً فوُجدت من اجله عليه الصلاة والسلام ورحم الله تعالى من قال *

يا مصطفى من قبل نشأة آدمٍ * والكونُ لم تُفتح له اغلاقُ
أيرومُ مخلوقٌ ثناءك بعدما * اثنى على اخلاقِكَ الخلاقُ

ثم الصفات جمع صفةٍ وهى معنى زائد على الذات محسوسٌ كالبياض او معقولٌ كالعلم وتشبيه صفاته صلى الله عليه وسلم بالبدور بجامع النور بكلٍ هو من حيث الظاهر تقريب للفهم والاَّ فان هذا المشبه به فرعٌ ناشئٌ فى الحقيقة عن المشبه الكريم لكونه اصلاً لجميع الموجودات ولولاه لما وُجدَت الذوات ولا الصفات كما علمتَ ومع هذا فان البدور يطرأ عليها النقص فى رأيِ العين بخلاف الصفات الطاهرة المحمدية فانها كاملةٌ ومحفوظة بالعناية الالهيّة من كل نقصٍ وشين ومن اراد ان يطّلع على اوصافه وكمالاته الخَلْقيّة والخُلُقيّة فعليه بكتاب الشفاء والشمائل وغيرهما من الكتب العلية فان

الكلام فى بسط شمائله كثير وبحر خصائصه صلى الله عليه وسلم
ذاخرٌ غزير لايحتمله هذا الشرح الصغير فحسبنا ان نقول هنا ان
من تمام الايمان به الايمان بانه فاق جميع العالمين محاسناً ولذا قال فيه
الصحابىُّ الجليل حسَّان بن ثابتٍ رضى الله تعالى عنه *

واحسنُ منك لم ترَ قطُّ عينى * واجملُ منك لم تلدِ النساءُ
خُلقتَ مبرأً من كل عيبٍ * كأنَّك قد خُلقتَ كما تشاءُ

وقالت سيدتنا عائشة رضى الله عنها وعنا بها *

ولو سَمعُوا فى مصرَاوصافَ خَدّهِ * لَمَا بذلوا فى سوْمِ يوسفَ من نقْدِ
لَوَاحى زُلَيْخَا لو رأَينَ جمالهُ * لآثرنَ بالقطع القلوبَ على الأَيدى

وبالجملة فقدكان صلى الله عليه وسلم من الحسن فى الذروة العليا ومن
الجمال فى المرتبة القُصوى وكان يدعو الناس الى جمال الباطن والظاهر
ويقول ان الله جميل يحب الجمال ولما كان جامعاً لجميع اوصاف
الكمال . اثنى الحق سبحانه وتعالى عليه فى كتابه العزيز بما ابان به
رفعته فيه الى الغاية بقوله عز قائلاً . وانك لعلى خُلُقٍ عظيم ورحم الله
ابن الخطيب الاندلسى حيث قال *

مدحَتْك آياتُ الكتابِ فما عسى * يُثنى على عُلياك نظمُ مديحى
واذا كتابُ الله اثنى مُفْصِحاً * كان القصورُ قِصارَ كل فصيحِ

ولقد صدق الامام شرف الدين عمر بن الفارض حيث قال فيه *

وعلى تفنُّنِ واصفيه بحسنه * يفنى الزمانُ وفيه ما لم يوصَفِ

﴿وفيه ارتقت الحقائق﴾ جمع حقيقة وحقيقة الشىء ذاته وماهيّته

وقوله ارتقت بمعنى علتْ وغلَتْ والمراد ان حقيقته صلى الله عليه وسلم جَمعتْ حقائِقَ الكمالات باسرها وأنَّ كلَّ حقيقةٍ منها كحقيقة العلم وحقيقة الصبر والنبوةِ مثلا ظهرت فى ذاته الشريفة وحقيقته المنيفة ظهوراً لا يحتمله غيره ولا يطيقه مخلوقٌ سواه اذ هو اصلُ جميع الانوار والفرع لا يقوى على اصله كما لا يخفى على اولى الابصار وهو المُغذِّى لحقائق الكائنات بغذاء الامداد والساقى . والمُرقِّى لها فى درجات تلك المراقى . ولا حقيقةَ منها الا وهى ﴿منه اليه﴾ اى منه نشأتْ واليه تنتهى اذا انتسبت لانه الجنسُ العالى على سائر الاجناس . والأَبُ الاكبر لسائر الموجودات والناس *

﴿وتنزلت علوم آدم به فيه عليه﴾ المرادُ بعلوم آدم صلى الله عليه وسلم العلوم الاسمائية التى انزلها الله سبحانه وتعالى عليه لاعجاز الملائكة الكرام وكانت سبباً لامرهم بالسجود والخضوع له بعد قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك . فقال تعالى لهم انبؤنى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين . فعجزوا قال يا آدم انبئهم باسمائهم فانبأهم بها فهذه العلوم نزلت على آدم به صلى الله عليه وسلم اى بسببه لكونه عليه السلام خُلِقَ من نوره ووُجِدَ لاجله ونزلت فيه اى فى باطنه لكونه علم حقائق مسمياتها وعرف خصائصها ومنافعها وعليه اى على ظاهره لكونه علم اسمائها والمراد بالاسماء الالفاظ الدالة على المعانى ولو افعالا وحروفاً وبالمسميات المعانى المدلولة لتلك الالفاظ والفرق بين نبينا وبينه

الكلام فى بسط شمائله كثير وبحر خصائصه صلى الله عليه وسلم
ذاخر غزير لا يحتمله هذا الشرح الصغير فحسبنا ان نقول هنا ان
من تمام الايمان به الايمان بانه فاق جميع العالمين محاسناً ولذا قال فيه
الصحابى الجليل حسّان بن ثابتٍ رضى الله تعالى عنه *

واحسنُ منك لم ترَ قطُّ عينى * واجملُ منك لم تلدِ النساء
خُلقتَ مبرأً من كل عيبٍ * كأنّك قد خُلقتَ كما تشاء

وقالت سيدتنا عائشة رضى الله عنها وعنا بها *

ولو سَمِعُوا فى مِصْرَ اوصافَ خَدِّهِ * لَمَا بذلوا فى سوْمِ يوسفَ من نقْدِ
لَوَاحِى زُلَيْخَا لو رأَيْنَ جمالهُ * لآثرنَ بالقطع القلوبَ على الأَيدى

وبالجملة فقد كان صلى الله عليه وسلم من الحسن فى الذروة العليا ومن
الجمال فى المرتبة القُصوى وكان يدعو الناس الى جمال الباطن والظاهر
ويقول ان الله جميل يحب الجمال ولما كان جامعاً لجميع اوصاف
الكمال . اثنى الحق سبحانه وتعالى عليه فى كتابه العزيز بما ابان به
رفعته فيه الى الغاية بقوله عز قائلاً . وانك لعلى خُلُقٍ عظيم ورحم الله
ابن الخطيب الاندلسى حيث قال *

مدحَتْك آياتُ الكتابِ فما عسى * يُثنى على عُلياكَ نظمُ مديحى
واذا كتابُ الله اثنى مُفْصِحاً * كان القصورُ قِصارَ كل فصيحِ

ولقد صدق الامام شرف الدين عمر بن الفارض حيث قال فيه *

وعلى تفنُّنِ واصفيه بحسنه * يفنى الزمانُ وفيه ما لم يوصَفِ

﴿ وفيه ارتقت الحقائق ﴾ جمع حقيقة وحقيقة الشىء ذاته وماهيّته

وقوله ارتقت بمعنى علتْ وغلَتْ والمراد ان حقيقته صلى الله عليه وسلم جَمعتْ حقائِقَ الكمالات باسرها وأنّ كلّ حقيقةٍ منها كحقيقة العلم وحقيقة الصبر والنبوةِ مثلا ظهرت فى ذاته الشريفة وحقيقته المنيفة ظهوراً لا يحتمله غيره ولا يطيقه مخلوقٌ سواه اذ هو اصلُ جميع الانوار والفرع لا يقوى على اصله كما لا يخفى على اولى الابصار وهو المُغذّى لحقائق الكائنات بغذاء الامداد والساقى . والمُرقِّى لها فى درجاتِ تلك المراقى . ولا حقيقةَ منها الا وهى ﴿منه اليه﴾ اى منه نشأتْ واليه تنتهى اذا انتسبت لانه الجنسُ العالى على سائر الاجناس . والأَبُ الاكبر لسائر الموجودات والناس *

﴿ وتنزلت علوم آدم به فيه عليه ﴾ المرادُ بعلوم آدم صلى الله عليه وسلم العلوم الاسمائية التى انزلها الله سبحانه وتعالى عليه لإعجاز الملائكة الكرام وكانت سبباً لامرهم بالسجود والخضوع له بعد قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك . فقال تعالى لهم انبؤنى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين . فعجزوا قال يا آدم انبئهم باسمائهم فانبأهم بها فهذه العلوم نزلت على آدم به صلى الله عليه وسلم اى بسببه لكونه عليه السلام خُلِقَ من نوره ووُجِدَ لاجله ونزلت فيه اى فى باطنه لكونه علم حقائق مسمياتها وعرف خصائصها ومنافعها وعليه اى على ظاهره لكونه علم اسمائها والمراد بالاسماء الالفاظ الدالة على المعانى ولو افعالا وحروفاً وبالمسميات المعانى المدلولة لتلك الالفاظ والفرق بين نبينا وبينه

ان نبينا علم الاسماء والمسميات وآدم علم الاسماء فقط . قال الامام الابوصيري قدس الله سره

لكَ ذاتُ العلوم من عالم الغيـ * ـب ومنها لآدمَ الاسماءُ

وقيل ان آدم عليه السلام علم الاسماء والمسميات واما نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فانه زاد عليه بمعرفة خصائصها ومنافعها والله تعالى اعلم ﴿ فاعجز كلاً من الخلائقِ فهماً ما أُودِعَ من السِّرِ فيه ﴾ اى اوقع جميع المخلوقين فى العجز اى الضعفِ من جهة فهم السر الذى جُعِل فى حقيقته العلية . وجعله قادراً على حمل اسرار الالوهيّةِ . فلم يقدروا على ادراكه ولم يحيطوا به علما ولذا كان صلى الله عليه وسلم اعلم الخلق على الاطلاق فدعا الناس على بصيرة تامّةٍ واوضح لهم من تلك الاسرار ماتحتمله عقولهم وخبأ الباقى عنهم وعن هذا العلم صرّح بتقدُّمه على الاولين والآخرين حيث قال انا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدى لوآء الحمد ولا فخر وما من نبيٍّ يومئذٍ آدم فمن سواه الاَّ تحت لوائى وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر وانا اول شافع واول مشفَّعٍ ولا فخر ﴿ وله تضاءلت الفهوم وكلٌّ عجزه يكفيه ﴾ اى تصاغرت وتقاصرت بان عجزت عن ادراك معناه افهامُ الخلائق . وكلٌّ منهم يكفيه عجزه اللازم له عن فهم وعلم حقيقته الجامعة للحقائق . اذ البعض لا يحيط بالكل ومن شرط الاحاطة بالعلم والفهم الرؤيةُ والتصوُّر وكلاهما متعذر ولذا قال صلى الله عليه وسلم يا ابا بكر والذى بعثنى بالحق لا يعلمنى حقيقةً غير ربى وما

احسن قول البوصيرى رحمه الله تعالى فى هذا المعنى *

اعيا الورى فهمُ معناه فليس يُرى * فى القرب والبعد منه غير منفحمِ

﴿ فذلك السرُّ المصونُ ﴾ اى الامر المحفوظ المكتوم الذى اعجز الخلائق وله تضألت الفهوم ﴿ لم يدركه ﴾ على الحقيقة التى هو عليها ﴿ منا ﴾ معاشر الكائنات ﴿ سابقٌ فى وجوده ﴾ اى متقدمٌ فى الايجاد والخلق على مظهره الشخصى والا فهو السابق لكلّ الخلائق وهو عينُ وجود الجميع ﴿ ولا يبلغه ﴾ منا ﴿ لاحقٌ ﴾ اى متأخرٌ فى الايجاد والخلق عن مظهره الشخصى ايضاً والاَّ فهو النور المتَّصلةُ به الانوارُ كلها اولُها وآخرُها ﴿ على سوابق شهوده ﴾ اى على الشهود الذي هو فى سرعة الادراك والوصول الى المقصود كالسوابق وهو لفظ غَلَبَ استعماله فى الخيل ونحوها والشهود فى اللغة العيان والاطلاع وفى اصطلاح القوم رؤية الحقّ بالحقِّ اي بان يشهدك تجلياته فى سائر مخلوقاته لكن من غير حلولٍ ولا مماسةٍ ولا نوع من انواع التجسيم والتشبيه بل هو تعالى على ما هو عليه من التنزيه عما لا يليق به لكن جرت عادة الله ان يتجلى فيما شاء من المظاهر لاوليائه كما وقع لسيدنا موسى عليه الصلاة والسلام فى تجليه تعالى على النار المخلوقة التى رآها فى جانب الشجرة فسمع النداء انه انا الله لا اله الا انا فاعبدنى الآية فلم ينكر تجليه فى النار بل امن وصدَّق فصاحبُ الشهود وان رُفع لهُ الحجابُ فادرك الحقائق والدقائق والاسرار لا يدرك ذلك السرَّ المصون . والأَمرَ الخفيَّ

ملك وباطنه ملكوت وحيث جمع بينهما كان جبروتا والعالم الرابع عالم العزة وهو مااختص الله تعالى به من علم ذاته وصفاته.والزهرُ اسم لنور النباتِ.والجمالُ الحسن فى الخلق والخُلق والفعل. والزاهرُ الناضر الحسن.ومونقة بمعنى مزينة.فقد شبَّهَ تزيين جمالِ المصطفى صلى الله عليه وسلم للملكِ والملكوت بتزيين الزهر للرياضِ وأَبْدَعَ فى ذلك غاية الإبداع وكأنهُ رضى الله عنه يقول ما اعظمه نبيًّا العوالمُ كالرياض معجبةٌ ومبتهجةٌ بما ظهر فيها من بدائِع جَمالهِ الذى هو كالزهرِ المشرقِ المُضِىء. والمراد انه صلى الله عليه وسلم عينُ حياة الوجودِ وزينةُ العالَمِ باسره وانَّ المحاسن التى ظهرت فى الاكوان من فلكٍ وملكٍ وانسان. وجمادٍ ونباتٍ وحيوان. هى منه صلى الله عليه وسلم واليه. فاستُعير الرياضُ لحقيقة ذاتهِ. والزهرُ لمظاهر صفاتهِ. وهذا من استغراقه الكلى فى شهود النور المحمَّدى الشريف وقوة فنائه فيهِ. وكل مَنْ فتح الله بصيرتَه. ونوَّر سريرتَه. يرى ما رآه حقًّا ولله در من قال *

وما مصدرُ الاشياءِ الاَّ محمَّدٌ * وناهيك طول المدح فيه قصورُ
بدائرة التكوين نور جمالهِ * عليه جميعُ الكائنات تدورُ

﴿ وحياض معالم الجبروت بفيض انوار سره الباهر متدفقة ﴾ الحياض جمع حوض. وهو فى الاصل محل صب الماء مصنوعٌ كالصهريج ونحوهِ. والمعالم تطلق على الآثار التى يُهتدى بها ويُستدلُّ على الطريق فتكون من العلامة. والفيض مصدر فاض الماء يفيض اذا تدفق

وسال . والانوار جمع نور وهو الضياء . والسر ما يكتم وهو خلاف العلن . والباهر هو الغالب بكثرته اوحسنه . ومتدفقة بمعنى متفجرة وممتلئة . لكن المراد بالحياض هنا قلوب العارفين بالله تعالى التى هى محل المعلومات . فتكون هى المعالم التى هى جمع مَعْلَم بمعنى مكان العلم . وبالانوار علومه صلى الله عليه وسلم شبّهها رضى الله عنه بالنور بجامع الاهتداء بكلٍّ . وبالماء الذى يُخيله الحياض بجامع الحياة بكلٍ . واراد بسره قلبه الطّاهر الشريف . وشبهه بالبحر لسعة امداداته الفائضة لا سيما فى قلوب العارفين التى شبهها بالحياض . فهى ممتلئة من فيض ذلك البحر ومدده السّارى فيها بحسب استعدادها . ومشرقة بما قابلها من انواره الباهرة وعلومه الفاخرة التى هى سبب صفائها وقبولها لخوارق الامدادات . على انّ البحرَ المشبَّهَ به ينقصُ وما يَفيضُ من موْجه يرجع اليه . بخلاف المشبهِ الكريم فانه دائم الفيض والامداد . متعدٍّ الى غيره لا يعتريه نقصٌ ولا نفاد . وما ظهر فى امته صلى الله عليه وسلم وانتشر فيهم من العلوم والعرفان . بالله تعالى ينبؤك عن ذلك . ويدلّك على بعض ما هُنالك . فاكرم به بحراً افاض على الوجود انواع المبرّات . وجاد بما عاد على اهل الاكوان بالخيرات والبركات . قال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه ان الله نظر فى قلوب العباد . فوجد قلب محمّد صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد . فاصطفاه لنفسه فبعثه برسالته . وقال الامام ابن حجر الهيتمى هو اول قلبٍ اودِعَ الاسرار الالهية والمعارف الربانية

لانه اول الخلق وصورته آخر صورة الانبياء الكرام عليه وعليهم افضل الصلاة والسلام . قال وقد صحّ عنه انه كان تنام عينه ولا ينام قلبه لانه مهبط الوحى . ومن ثمّ لم ينتقض وضوؤه بالنوم . وسرّ ذلك ايضاً كمال حياة قلبه ويقظته ودوام شهوده لربه عز وجلّ وفى ذلك يقول الابوصيرى رحمه الله تعالى *

لاتنكرِ الوحْىَ من رُؤْياهُ إنّ له * قلباً اذا نامَتِ العيْنانِ لم ينمِ

اللهم احى قلوبنا بحياة قلبه الواسع . واشرح صدورنا بنور صدره الجامع وارحمنا به ياارحم الراحمين ﴿ ولا شئ ﴾ فى الوجود باسره ﴿ الا وهو ﴾ اى ذلك الشيء ﴿ به منوطٌ ﴾ اى معلق تعلّق الجزء بالكل والفرع بالاصل ﴿ وبسره السّارى ﴾ اى نوره الجارى فى كُلّيات العالَمِ وجُزئياتهِ علوياته وسفلياته ﴿ محوطٌ ﴾ اى مطوقٌ ومحفوظ من التلاشى والاِضمحلال يعنى لولا وجودُه صلى الله عليه وسلم لم يخرُج شيء من العدم الى الوجود ولولا سَريان سره فى الاشياء وامدادُه لها لم يصحّ بقاء موجود . كالشجرة لولا بذرتها لَماَ وُجِدَت ولولا سريان الماء فيها لَما بَقيَتْ فهو الواسطة فى الايجاد والامداد لكل مخلوق ولذلك علّله واقام لك الدليلَ عليه بقوله ﴿ اذ لولا الواسطة فى كل صعود وهبوط ﴾ اى ارتفاعٍ وانخفاض او تقدُّمٍ وتأَخر وهكذا فى كل حالٍ وضده كالايمان والكفر . والغنى والفقر . والوصل والقطع والعطاء والمنع . والبعد والقرب . والبغض والحب . وغير ذلك ﴿ لذهب كما قيل الموسوط ﴾ اى لاَنْعدمَ الصادرُ عن الواسطة وما

حصل لان حصول الاشياء منوطٌ بالاسباب ولا دخول الا من الباب
كما انه لاخروج الا منه ايضاً . فلولا الباب الذى هو الواسطة فى
الدخول والخروج لكان كلٌ منهما امراً معدوماً ولولا وجود الرسل
ما حصل الايمان . ولا كان له اثرٌ فى الاكوان . وعلى هذا فقس
فالواسطةُ منها استمداد الموسوط وتكوينه يوجد بوجودها وينعدم
بانعدامها . فوجود كلٍّ منهما يقتضي وجود الآخر . وهذا امرٌ متفقٌ
عليه . واذا تقرر ذلك فلولا النور المحمدىّ الذى هو الواسطة فى
الايجادوالامداد لانعدمتِ الاشياء بالكلية وتلاشت ولم يبق لها بقية
وليس المراد من قوله قيل صيغة التضعيف بل الاشارة الى ان هذا
القول قاله العارفون من قبله وسبقوه اليه . والمراد بالصعود والهبوط
ما يشمل الحسى والمعنوى . فالحسى كنحو صعود النيرات من
المشرق وهبوطها الى المغرب . والمعنوى كالارتفاع فى المقامات
والانخفاض فيها والوسائط فى ذلك كثيرةٌ يحار العقل فى ادراكها
وكلها ترجع الى الواسطة العظمى . فالانبياء والمرسلون صلوات الله
تعالى وسلامه عليهم رُفعت درجات بعضهم على بعض وصعدوا فى
مصاعد النبوة والرسالة الى مقاماتٍ هبطت عنها بقية الخلق وكلٌ
منهم كان واسطةً فى رفع قومٍ وخفض آخرين حساً ومعنىً كموسى
صلى الله عليه وسلم فانه هو الواسطة فى خفضِ فرعون القائل انا
ربكم الاعلى . أليس لى ملكُ مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى
حيث زال ملكه العظيم على يديه ومات غريقاً فلولا موسى عليه

السلام ما حصل هذا لفرعون ولا ارتفعت بنو اسرائيل على الذين كانوا يُقتلون ابناءهم ويستحيون نساءهم . وانظر الى ابى بكرٍ رضى الله عنه كيف تقدَّم وارتفع . والى ابى جهلٍ كيف تأَخر واتَّضع . بعد ما كان رئيس قريشٍ واميرها . وحاكمها ومشيرها .. والى الصحابة كيف هزموا كسرى وقيصر واستولوا على الامصار . وارتفعوا على الأُمم فى سائر الاقطار . فالايمان هو الذى صعد بالصحابة الى هذا المكان . واوصل من تحققوا به الى دار الجنان . كما ان الكفر هو الذى هبط بغيرهم الى حضيض التأخر والخسران . وساق من اتَّصفوا به الى دركات النيران . والحاصل لولا من هو الواسطة فى الوجود ما وُجِدَ شيءٌ ولا حصلَ رفعٌ ولا خفضٌ فى الحسِّ ولا فى المعنى لموجود ولولاه ما وصلت لاحدٍ نعمة ولا نزلت من السماء رحمة وفى ذلك يقول الشيخ محمد البكرى الصديقى رحمه الله تعالى *

ما ارسلَ الرحمنُ او يرسلُ * من رحمةٍ تصعدُ او تنزلُ
فى ملكوتِ الله او ملكهِ * من كلِّ ما يختصُّ او يشملُ
الا وطَه المصطفى عبدُه * نبيُّه مختارُه المرسلُ
واسطةٌ فيها واصلٌ لها * يعلمُ هذا كلُّ من يعقلُ

ومن بصَّره الله تعالى يكتفى بما مثّلنا فإنَّ هذه الجملة من الكلام البليغ العام الذى لا يدخل تحتَ حَدِّ الحصرِ وشرحها مما تضيق عنه بطونُ الاوراق ﴿ صلاةً تليق بك ﴾ اى لائقةً لكمالها بفضلك واحسانك صادرةً ﴿ منك اليه ﴾ اى واصلةً الى ذاته العلية من

حضرتك القدسيّة بدون توسّط احد وهذا كمال ادب منه رضى الله تعالى عنه واعتراف بالعجز عن تكييف الصلاة على الحبيب الأكرم صلى الله عليه وسلّم لانه لا يقدِرُه قدرَه العظيم . ولذلك عدل عن الصّلاةِ الواردة وأحالها على من هو بالحقيقةِ المحمديّةِ عليم *

﴿ وتتواردُ بتوارُد ﴾ اى الصلاة تتواصلُ بان يأتى بعضها متحداً ببعض او تترادف بان تأتىَ صلاةٌ اثر صلاة كتواصُل وترادف ﴿ الخلق الجديد والفيض المديد عليه ﴾ اى على ذاته الشريفة ويحتمل ان تكون الباء بمعنى مع اي تتوارد عليه مع تواردهما وتأتى مصاحبة لهما ومُساوية لعددهما وكلاهما لا يدخُلُ تحت حد احصاء المخلوقين قال تعالى . وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فان الفيض المديد عبارةٌ عن الأنعام الالهى الذى لا ينقطع ولا يتناهى لا دنيا ولا آخرة والخلق الجديد عبارة عما يحدث من المخلوقات ويتجدّد وجوده فى كل لحظة من اللحظات من جمادٍ ونباتٍ وحيوانٍ وجوهرٍ وعرض بسيطٍ ومركبٍ علويّ وسفليّ الى غير ذلك من حركات الخلق وسكناتهم واقوالهم وافعالهم وشؤنهم وانفاسهم وما يجرى فى الكون ويبرُز للوجود من قليلٍ وكثيرٍ مما لا يعلم قدره ولا يحيط به الا الخالق سبحانه فيكونُ المطلوب له صلى الله عليه وسلم صلاة لا تتناهى ولا يحيط بقدرها الا الله عز وجلّ لكونها لا تنقضى ولا تزول وكأنه يقول صلِّ عليه صلاةً متوالية التجدّدِ دائمةَ الاتصال كلما انقضى اوّلها تجدّد آخرُها وكل شىء تبع شيئاً فهو

جديد بالنسبة لما قبله ﴿ وسلاماً ﴾ معطوف على قوله صلاةً اى تحيةً واماناً ﴿ يجارى ﴾ اى يماثل ويعادلُ ﴿ هذه الصلاةَ ﴾ المطلوبة ﴿ فيضُه ﴾ اي تدفقه القويُّ الباهر ﴿ وفضلُه ﴾ اى مدده الكثير الوافر حتى يأتى مثلها لائقاً بك منك اليه ومتوارداً بتوارد الخلق الجديد والفيض المديد عليه ﴿ كما هو اهلُه ﴾ اى مثل ما هو صلى الله عليه وسلم مستحق له اذ لا يعرف قدره الا انتَ او لاجل انه اهلٌ لصلاتك وسلامك عليه ﴿ وعلى آله شموس سماء العُلا ﴾ جمع عُليا برفع العين مقابلة سُفلى من العلو وهو الارتفاع وآل الرجل اهله وعياله ويُطلق على الاتباع ايضاً ولا يُضاف الا للعقلاء ممن له خطر دينيًّا كان او دنيوياً . واختُلِف فى تعيين آله صلى الله عليه وسلم اختلافا كثيراً والذى حققه العلاّمةُ الصبّان ان تفسير الآل يختلف باختلاف المقامات والقرائن . ففى مقام الزكاةِ بنو هاشم والمطلب عند الامام الشافعى . وبنو هاشم لا المطلب عند الامام مالكٍ . وآل على وآل جعفر وآل عقيل وآلُ العبّاس وآل الحارث عند الامام ابى حنيفة . وفى مقام المدح آل بيتهِ الشريف . وفى مقام الدّعاء كل مؤمن ولو عاصياً . وحيث ان المقام هنا مقام مدحٍ فيكون المراد بهم اهل البيت الكرام الذين اثنى الله تعالى عليهم بقوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجسَ اهل البيت ويطهركم تطهيراً . شبّهم بشموس السموات العُلا تشبيهاً بليغاً نظراً لشرفهم وارتفاع مقاماتهم وكمال انوارهم المنتشرةِ فى الاكوان الصادرة عن مطلعٍ نبويٍّ اظهر الله

به ما اظهره فى هذا العالم من الهداية الى طُرُق النجاح والفلاح ٠ وكشف به استار العماء عن الكون فبدا بنوره الوضّاح ٠ وهم على ما حققهُ الامام ابن حجر الهيتمى رحمه الله تعالى اهل بيتِ سكنهِ صلى الله عليه وسلم ٠ واهل بيت نسبهِ وهم مؤمنوا بنى هاشمٍ وبنى المطلب قال واكثر المفسرين انها اى الآية الكريمة نزلت فى علىٍّ وفاطمة والحسن والحسين رضى الله تعالى عنهم ٠ فقد رُوى من طُرقٍ متعددةٍ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ومعه علىٌّ وفاطمة والحسن والحسين ثم اخذ كلَّ واحد منهما على فخذه ثم لفَّ عليهم كساء ثم تلا الآية وقال اللهم هؤلاء اهل بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ٠ وقد جاء من الاحاديث فى فضائلهم والتوصية بهم والقيام بواجب حقّهم ما هو معلومٌ وشهير ٠ ومنها علمنا وجوب محبتهم على العموم وتحريم بغضهم التحريم الغليظ وبذلك صرّح العلماء بل نصَّ عليه امامنا الشافعىُّ فيما حُكى عنه من قوله رضى الله عنه *

يا آلَ بيتِ رسول الله حبُّكمُ * فرضٌ من الله فى القرآن انزلهُ
كفاكمُ من عظيم القدر انكمُ * مَن لم يصلِّ عليكم لاصلاة لهُ

اى كاملة او صحيحة على قولٍ له مرجوح ٠ وناهيك باعتناء الله تعالى بشأنهم وامرِه لنا على لسان نبيّه صلى الله عليه وسلم بمودتهم بقوله الدالّ على رفعة قدرهم وغاية شرفهم قل لا اسألكم عليه اجراً الاّ المودة فى القربى ٠ وما احسن قول الامام محى الدين ابن

العربي قدس الله سره في ذلك *

ارى حبَّ اهل البيت عندي فريضةً * على رغم اهل البعد يورثني القربا
وما طلب المختار اجراً على الهدى * بتبليغه الا المودة في القربى

ومن الطف ما قيل في هذا المعنى *

همُ القومُ من اصفاهم الودَّ مخلصاً * تمسّك في أُخراه بالسبب الاقوى
همُ القومُ فاقوا العالمين مناقباً * محاسِنُهم تُحكى وآياتهم تُروى
موالاتُهم فرضٌ وحبهمُ هدًى * وطاعتهم ودٌّ وودهم تقوى

والطف منه قول العالم البارع الشيخ قاسم ابى الحسن افندي الكستي

محبتكم يا آل بيت محمدٍ * على كل نفسٍ من جميع الورى فرضُ
ولولا الذي انتم بنون لبنته * لما امطرت سحبٌ ولا انبتت ارضُ

ومن فضائلهم وخصائصهم ما قاله العلماء من انه لما ذهبت عنهم الخلافة الظاهرة لكونها صارت ملكاً عضوضاً عوضوا عنها الخلافة الباطنة حتى ذهب قومٌ الى ان قطب الاولياء في كل زمانٍ لايكون الا منهم فرضي الله عنهم وعنا بهم ونفعنا ببركاتهم اجمعين *

﴿ والاصحابه والتابعين ومن تلا ﴾ اى وعلى من تبع التابعين للاصحاب من المسلمين الى يوم الدين . والصحابيُّ من اجتمع بالنبيِّ صلى الله عليه وسلم في حياته مؤمناً ومات على الايمان . والصحيح ان عِدَّتهم لايحصيها الا الله لكثرة من اسلم . ورُوى انهم عند وفاته صلى الله عليه وسلم مائة الف واربعة وعشرون الفاً كلهم اهل الرواية عنهُ لقوله اصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وهم افضل القرون

المتقدمة والمتأخرة ماعدا الانبياء والرسل لحديث ان الله اختار اصحابي على العالمين سوى النبيين والمرسلين . وافضلهم ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم الستة الباقية من العشرة وهم طلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابو عبيدة عامر بن الجراح ثم اهل بدر ثم اهل أحد ثم اهل بيعة الرضوان . والتابعون هم اهل الطبقة التي رأت من رأى النبي صلى الله عليه وسلم وافضلهم الحسن البصرى . وقيل اويس القرنى والله سبحانه وتعالى اعلم . ﴿ اللهمّ ﴾ اى يا الله انى اشهد واقرّ واعترف بين يديك ﴿ انه ﴾ اي المصطفى صلى الله عليه وسلم ﴿ سرّك ﴾ امرك الخفيّ الذى لايحيط به غيرك ﴿ الجامع لكل الاسرار ﴾ اى لجميع حقائق الوجود بحقيقته التى هى مادة كل موجود وهو معنى قول بعضهم

ان الوجود وان تعدّد ظاهراً * وحياتكم ما فيه الاّ انتم
انتم حقيقة كل موجود به * وجميع ما فى الكائنات توهم

* ولله در من قال *

وليس على الله بمستنكر * ان يجمع العالم فى واحد

وعذوبة هذه المعانى الكامنة فى مجالى هذه الالفاظ لا يعرفها الا من ذاقها من اهل الحقيقة جعلنا الله تعالى منهم وما ذلك على الله بعزيز ﴿ ونورك ﴾ اى وانه مظهرك الأتمّ الذى نشأ من حضرتك بدون واسطة ﴿ الواسع لجميع الانوار ﴾ اى المملوء بانوارك القدسية التي سرت بك منه الى سائر المظاهر الكونيّة . او الذى وسع

صُوَرَ الكائنات كلها لاندراجها فى حقيقته وانطوائها فى عين ماهيته انطواءَ الاشعّة فى الضياءِ والنور من اسمائه صلى الله عليه وسلم قال تعالى قد جاءكم من الله نورٌ وكتابٌ مبين . وقال جماعة من العارفين المراد بالنور الثانى فى قوله تعالى الله نور السموات والارض مثل نوره هو محمد صلى الله عليه وسلم من حيث انه اول مخلوقٍ صدر عنه كمشكاةٍ هى الأكوان جميعها فيها مصباح اضاءت به اى ظهرت بعدما كانت مستورةً والمصباح هو النور المحمّدى مصباحُ الظلام العدمى والمراد انه صلى الله عليه وسلم منشأ جميع الانوار على كثرة تنوعاتها من فروعها وصفاتها الحسّية والمعنوية فانوار النبوة والرسالة وانوار الهداية والولاية وانوار القلوب والابصار . والانوار المشرقة فى الليل والنهار . والانوار المُودَعَةُ فى الاشجار والازهار . وانوار الايمان والاحسان والايقان . وانوار المحبة والشهود والعرفان . وكل ماظهر فى الوجود او شوهِدَ من المحاسن فى اى حادثٍ موجود . فانه هو اصلهُ وسببه وهو مُقسّمهُ ومفيضه بالرغم على اهل الجحود .

﴿ ودليلك الدالّ ﴾ اى وانه المرشد الذى ارشد الخلق ﴿ بكَ ﴾ اى بحولك وقوّتك ودلهّم بذاتهِ وحالهِ وهمتهِ ومقالهِ ﴿ عليكَ ﴾ اي على العلم بك من حيث الذات والاسماء والصفات والافعال . وما يجب له تعالى من اثبات كل صفة كمالٍ وسلب كل صفة نقصٍ وما يجوز له من ايجاد الخلق واعدامهم وما يمتنع عليه من المحالات التى لا تتعلق بها قدرته سبحانه الى غير ذلك مما هو مقرر فى محلهِ

﴿ وقائد ركب عوالمك اليك ﴾ القائدُ هو الرئيسُ المتقدمُ على القوم والعوالم جمع عالَم وهو اسم لكل نوعٍ من انواع المخلوقات ومعنى قائدهم الدالُّ بهم على الله الجاذب لهم الى دار كرامتهِ ومحل رضوانه وفيـه اشارةٌ الى انه صلّى الله تعالى عليه وسلّم مرسلٌ الى الخلق كافّة وعلى هذا جرى الامام السبكي وكثير من ائمة التحقيق . قال العلاّمة ابن حجر الهيتمي امّا ارساله الى الانسِ والجنّ فبالاجماع المعلوم من الدين بالضّرورةِ فيكفر منكرهُ واما الملائكة فعلى الاصح وامّا الجمادات فعلى ما ذهبَ اليه بعض محقق المتأخرين . ومعنى ارساله الى الملائكة وهم معصومون انّهم مكلفون بتعظيمهِ والايمان به واشادةِ ذكره . ومعنى ارسالهِ الى الجمادات انه يُركَّبُ فيها ادراكات لتؤمن بهِ وتخضع لهُ قال تعالى وان من شيء الاّ يسبح بحمده اى حقيقةً لا بلسان الحال فقط خلافاً لمن زعمه . وشاهد هذا قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتابٍ وحكمة ثم جاءكم رسولٌ مصدّق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه الآية . قال العلاّمة المذكور وقد اختلف المفسّرونَ فيها والذى قالهُ عليٌّ وابن عبّاسٍ رضى الله عنهما ان الله اخذ على كلّ نبيٍّ بعثه من لدُن آدم عليهِ السلامُ الى محمدٍ صلى الله عليه وسلّم ان من ادركهُ وهو حيٌّ ليُؤمننّ به ولينصُرنّهُ ويلزم من هذا ان الانبياء كانوا يأخذونَ الميثاق من اممهم بانهم ان ادركوهُ آمنوا به ونصروهُ ومن ثمّ قال الامام السّبكى دلّت الآية على انهم لو ادركوا زمنهُ كان مرسلاً

اليهم فتكون نبوته ورسالته عامّة لجميع الخلق الانبياء واممهم من لَدُن آدم عليه السلام الى قيام السّاعة وحينئذٍ يدخلونَ فى قوله وأُرسلتُ للنّاسِ كافّةً . وحكمة اخذ هذا الميثاق على الانبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم إعلامهم وأُممهم بانه المتقدِّم عليهم وانه نبيهم ورسولهم وقد ظهر ذلكَ فى الدنيا بكونه امّهم ليلة الاسراء ويظهر فى الآخرة بانهم كلهم تحت لوائه بل وفى آخر الزمان بكون عيسى صلّى الله عليهِ وسلّم ينزل حاكماً بشريعتهِ المطهرة دون شريعة نفسه ﴿ وحجابك الاعظم ﴾ اى الاكبر من سائر حجبك لان الانبياء ايضاً حجبٌ لأُممهم فهو اعظمهم كما ان الشيخ حجابٌ لتلامذته فتلك حجبٌ خاصّة وهو صلى الله عليه وسلم الحجاب الكلى الذى يحجب اى يمنع من رام الدخول على الله من غير بابه . ويطرد من امّلَ الوصول اليه بدون واسطة جنابه . ولذا قال بعضهم *

وانت بابُ اللهِ اىُّ امرئٍ * اتاه من غيركَ لا يدخلُ

بل تُغلق دونه الابواب . ويردُّ بعصا الادب الى اصطبل الدّواب كما قال الشيخ الاكبرُ فى صلاةٍ لهُ . لانه صلى الله عليه وسلم اقرب الخلقِ الى جناب الحقّ سبحانهُ وتعالى وهو واسطة الوسائط كلها وليس فوق مقامهِ مقامٌ يصل اليه ملكٌ مقرب ولا نبىٌّ مرسل وما احسن قول الابوصيرى فى هذا المعنى

كيف ترقى رقيك الانبياء * ياسماء ما طاولتها سماء

لم يساوكَ فى علاكَ وقد حا * ل سناً منك دونهم وسناء

ولهـذا وصفه بقوله الاعظم ﴿ القائمُ لكَ بينَ يديكَ ﴾ اي الثابتُ في حضرة شهودك على الدوام . القائم بحق عبوديتك قياماً كلياً لا يماثله قيام . وللسالكين من امته نصيبٌ من هـذا المقام . كما ورد بيانه في حديث لا يزال عبدى يتقرب اليَّ بالنوافل حتى احبَّه فاذا احببته كنتُ سمعَه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطِش بها ورجله التى يمشى بها ومعناه كنت مشهوده في كل شيء . ويحتمل ان يكون المراد انه قائم بين يديْ شهود ربه على معنى ان شهوده تعالى لا يمكن الا لمن شهده صلى الله عليه وسلم وعرفه اذ هو مرآة تجلِّي الحق سبحانه وهو الواسطة العظمى التى لا وصول الا بها وهذا اولى لأَن المعنى الاول موجودٌ فيه صلى الله عليه وسلم بأَنهى ما يمكن ان يوجد في مخلوقٍ كما لا يخفى وهو سيد اهل العبوديـة واحبُّ اسمائه اليـه عبد الله ولهذا قال ﴿ فلا يصل ﴾ من الخلق ﴿ واصـلٌ ﴾ اى من يريد الوصول الى حضرة الحق ﴿ الاَّ ﴾ بالوصول ﴿ الى حضرته المانعةِ ﴾ لكل احدٍ من الوصول الا بواسطته او التى تمنع اى تحجبُ كلَّ من عداه عن ان يتجاوزه او يتعدَّاه اويشهد حضرةَ مولاه قبل شهود محيَّاه لان الحضرةَ واحدةٌ ومن شهدَ الوسيلة شهد المقصد . ومن فرّق بين الحضرتين لم يذق للمعرفة طعماً فالواصل الى حضرته صلى الله عليه وسلم واصلٌ الى حضرة ربه عز وجلَّ قطعاً بالاتفاق ﴿ ولا يهتدى ﴾ اى لا يستدلُّ على الله او لا يجدُ الطريق الموصِّلَ اليه تعالى ﴿ حائرٌ ﴾ اى تائهٌ ضلَّ عنـه

﴿ الاّ ﴾ اذا استضاء ﴿ بانواره اللامعة ﴾ اى احكامِ شريعته النافعة وتشبيهُها بالانوارِ ظاهر لأنه يُهتدى بها كما يُهتدى بالنور . وبهذا نبّهك رضى الله تعالى عنه على وجوب متابعته صلى الله عليه وسلم ونصحك حيث اعلمك ان من لم يقتدِ به لم يهتدِ الى طريق الحق سبحانه وكأنّه يقول لك لا تغترر أيُّها المريد بمن سلك غيرَ مسلك هذا الحبيب الاعظم وادّعى محبة الله والوصولَ الى حضرته فقد قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله . من يطع الرسول فقد اطاع الله . وإنْ تطيعوه تهتدوا . الى غير ذلك من الآيات الدالة على وجوب طاعته ومتابعته وسلوك سبيله قولاً وفعلاً وحالاً وسيرةً وعقيدةً وخُلقاً فمن ادّعى محبة الله تعالى ولم يسلك مسلكهُ صلى الله عليه وسلم فهو كذابٌ بنصِّ الكتاب . ورحم الله من قال مخاطباً لجنابه العالى . اذا لم تكن انت الدليل فلا هُدى . وفى الحديث الشريف تركتكم على المحجّة البيضاء ليلها كنهارها ونهارها كليلها لا يضلّ عنها الا هالك والمحجّةُ البيضاء هى شريعته وطريقته النيرةُ المضيئة الواضحة التى لا يضل سالكها ولا ينقطِع ولا يخشى فيها من من آفة . ومن كلام الجنيد الطرق كلها مسدودة على الخلق الا من اقتفى اثره صلى الله عليه وسلم فنسأل الله تعالى ان يوفقنا لاِتّباعهِ واقتفاء آثاره بمنه وكرمه ﴿ اللهم الحقنى بنسبه الروحى ﴾ اى النورانى المنسوب الى الروح وشبّهه به لصفائه وخلوصه من شوائب الكدورات والمراد به نسبُ التقوى وكمال العبودية فقد جاء فى

الحديث الشريف . آلُ محمد كل تقيّ . وهو النسب الحقيق يوم القيامة قال الله تعالى . فاذا نفخ فى الصور فلا انساب بينهم يومئذٍ ولا يتساءلون . وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول يوم القيامة اليوم اضع انسابكم وارفعُ نسبي فأين المتقون . وكأنّ الشيخ قدس الله سره يقول اللهم ارزقنى تقواك بطاعتك وطاعة رسولك حتى اصل بك اليك وافوز برضاك ورضاه . ولما كان كمال التقوى والعبودية لايكون الا بالتنصّل التام من مزاحمة الربوبية وكان التخلّق بالاخلاق المحمّديةِ الشريفة والتحققُ بها هو معراج الإرتقاء الى هذا المقام الشامخ طلبه فقال﴿ وحققنى بحسبه السبوحى ﴾ اي اجعلنى متحققاً والتحقق بالشيء هو الاتصاف به . والحسبُ ما يعده الانسان من مفاخر آبائه . والسبوحى نسبة الى السبوح وهو صفة من صفاته تعالى كالقدوس . وانما نسب هذا الحسب اليه لانه منزهٌ ايضاً ومطهر من كل العيوب والنقائص التى تحجب عن الغيوب . والمعنى حَلِّنِى بحليته الاحمدية . واجعلنى متصفاً باوصافه السنية . كصفات العلم والحلم والرأفة والرحمة والكرم والصبر والعدل والتوكل والاحسان . وغير ذلك من الكمالات العلية . حتى لا يقع منى ما يُنافى العبودية ويُنازع الاخلاق الالهية ﴿وعرفنى اياه ﴾ اى اجعلنى عارفاً به يا الله ﴿معرفة اشهدُ بها محيّاه ﴾ اى حقيقته الجامعة ونورانيته اللامعة شهوداً تمحقُ به حقيقتى وحقائق الكائنات باسرها فيكون هو ولا هى لانها مخلوقة من نوره كما تكون انت ولا هو

ولا شيء منها لانك انت المظهر والظاهر والموجود دون كل المظاهر وما سواك عدم محض لا وجود له فى ذاته قال تعالى كل شيء هالك الا وجهه • وقال صلى الله عليه وسلم اصدق كلمة قالها لبيد • الا كل شيء ما خلا الله باطل • فالثابت هو الحق وما بدا الا وجهه سبحانه قال تعالى وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا • ويحتمل كلامه مع ما ذكرناه انه يطلب رؤية محياه اى وجهه البشرى يقظة او مناماً وقد سبقه الى هذا الامام الابوصيرى حيث قال فى الهمزية *

ليته خصنى برؤية وجه * زال عن كل من رآه الشقاء

والذى رجحه شارحها انه اراد رؤيته يقظة بقرينة كونه تلميذ القطب ابى العباس المرسى وهو الذى حلت عليه بركاته حتى وصل الى هذا المقام • قال والقطب المذكور وارث القطب الاكبر ابى الحسن الشاذلى وكل منهما حفظت عنه رؤية النبى صلى الله عليه وسلم يقظة بل قال الشاذلى لو حجب عنى رسول الله طرفة عين ما عددت نفسى مسلماً • وممن حفظت عنه رؤيته يقظة مرارا العارف بالله تعالى سيدى على وفا ابن القطب الكامل سيدى محمد وفا وهما من جملة المنتسبين الى القطب الشاذلى فكون الناظم منسوباً الى هؤلاء يقرب انه سألها • وقد حكى ذلك ابن ابى جمرة وكثيرون عن جماعة من التابعين ومن بعدهم انهم راوه فى اليقظة وسألوه عن اشياء وقال ان هذا من جملة كرامات الاولياء وعن الامام الغزالى ان

ارباب القلوب فى يقظتهم قد يشاهدون الملائكةَ وارواح الانبياء ويسمعون منهم اصواتاً ويستفيدون منهم فوائد انتهى * قلت * ولا يخفى انَّ هذه الفقرةَ من كلام المازج وهو من المتنسبين ايضاً الى هؤلاءِ الاخيار فلا بدَّ ان يكون طلب الرؤية يقظةً كما وقع لهم وللعلماءِ فى هذه الرؤية قولان الاولُ ان يرى روحهُ الشريفة المتشكلة بشكل جسده الطاهر والثانى ان يرى جسده الشريف فانه حىٌّ فى قبره قال القطب الحفنى ولا مانع من اكرام الله بعض عبيده برفع الحجب بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فيراه فى قبره وان بعُدت داره . فليس المراد برؤيته يقظةً انه يخرج من قبره بروحه وجسده ويمشى فى الاسواق ويأتى لمكان الرائى والله سبحانه وتعالى اعلم ﴿ واصيرُ بها مجلاهُ ﴾ اى محلاً لظهور كمالاته العلية ومحاسنه السَّنيَّة فيكونُ من رآنى كأنما رآهُ لان الكاملينَ هم مرايا للكمال المحمَّدى وهو مرآة للكمال الالهى ولا يكون التكميل لكل كاملٍ الا من الحضرة المحمديةِ ﴿ كما يحبُّه ويرضاه ﴾ اى مثل ما يريده هو لى ويكون مقبولاً عنده لانه هو ولىُّ النعم كلها فليس لى حقٌّ ان اختار لنفسى معه وهذا من كمال ادبه وعرفانه برسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ واسلم بها من ورود موارد ﴾ جمع مورد وهو مكان ورود الماء للاستقاء اى انجو بها من اتيان اماكن وحلول مواطنِ ﴿ الجهل بعوارفهِ ﴾ اى مواهبه التى اسداها الينا وانعم بها علينا وهى اعرف من أن تُعرَّف . واعظمها نعمة الايمان ومنها نِعَمُ

الايجاد والامداد واحكام شريعته الغراء . والجهل بها ضد العلم وشُبّه بماء من سمٍّ لان كلاً فيه الهلاك . ومواردُه كثيرة فمنها الكبر والعجب والرياء والحِقد والحسد والكذب والعداوةُ والبغضاء والتذللُ للاغنياء واحتقار الفقراء وترك الثقة بمجيء الرزق والبخل والغش والتصنع والقسوةُ والغفلةُ والعجلةُ والجفاء وضيق الصدر وقلة الحياء الى غير ذلك من الصفات الذميمة . والمراد ان يسلم بمعرفته صلى الله تعالى عليه وسلم من ورود هذه الموارد المهلكة لا أنْ يسلم من الجهل بعوارفه لانه رضى الله تعالى عنه من اكابر العارفين بها . وانما لما كان العالمُ قد يرِدُ تلك الموارد عند ثوران الشهوةِ على العقل فيكون كالجاهل كما فى حديث لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن طلبَ السلامة منها بسبب معرفته له لان من عرفه عرف الحق سبحانه ومن عرف الحق سلم وحُفظ من ورود تلك الموارد حيث يرى حينئذٍ ان الله مطلع عليه فيمتنع بعنايته تعالى من الوقوع فيما لا يرضيه وللمعرفة مراتب اعلاها معرفة الفناء فيه فتكون هى المطلوبة لان السلامة التامة لا تكون الا بها والفناء فيه بقاء بالله فى اشرف المظاهر ﴿ واكرع بها ﴾ اى اشرب بفم سرّى ﴿ من مواردالفضل ﴾ اى الاحسان الالهى حالة كونى متحلياً ﴿ بمعارفه ﴾ اى علومه وآدابه . وانما قابلَ الجهل بالفضل دون مقابلهِ وهو العلم لانه اعمّ . والفضل فى الاصل نوع كمال يزيد به المتصف به على غيره وشُبه بالماء الزلال لان كلاً فيه الحياة ومن

موارده محبة الله تعالى ومحبة رسوله وفعل الطاعات والاخلاص فيها واتباع الاوامر واجتناب النواهى والخشية والمراقبة والتواضع والتفويض وجهاد النفس وعدم الرضاء عنها والاقبال على الله تعالى والتخلق باخلاقه من الحلم وغيره والرضا عنه والثقة به والتوكل عليه والتذلّل بين يديه والاشتغال بذكره وشكره وتوحيده والتبرى مما سواه . ومنها شهودُه سبحانه وهو المطلوب هنا اذ لا يُنال الا بالفضل المحضِ العارى عن الأسباب وكل اكتساب . والله يختص برحمته من يشاء ولذا قال العارف الكامل سيدى على وفا رضى الله عنه

قد كنتُ احسبُ ان وصلك يُشترى * بكرائم الاموالِ والاشباحِ
وظننتُ جهلاً أنّ حبك هيّنٌ * تَفْنَى عليه نفائسُ الارواحِ
حتى رأيتك تجتبي وتخصُّ من * تختارُه بلطائف الإمناحِ
فعلمتُ انك لا تُنال بحيلةٍ * ولَوَيْتُ رأسى تحت طيِّ جناحى
وجعلتُ فى عشِّ الغرام اقامتى * فبه غدوِّى دائماً ورواحى

واعلم ان من شرب من رحيق شهود الحق سبحانه وتعالى غاب عن جملة الاكوان . وسكر سكراً لا يقاس به سكر شارب بنت الدّنان . فلا ينتفع به احد وربّما انكر ثبوت الآثار . ومنها الرسُلُ وما جاؤا به . ولذلك طلب ان يكون فى هذا المقام متحلياً بمعارفه صلى الله عليه وسلم ومُتدرعاً بآدابه . فيكونُ سكرانَ صاحياً . وفانياً باقيا يشهد الحق فى كل شيء ويعطى كل ذى حقٍّ حقه ﴿ واحملنى على نجائب لطفك وركائب حنانك وعطفك ﴾ النجائب والركائب النوق

الكريمة والإبلُ التى يُسار عليها . شُبه بها لطف الله وحنانهُ وعطفه لان كلاًّ يُوصِّل الى المطلوب مع السرعة والراحة . واللطف هو الرفق (ضد العنفِ) والتوفيق والعصمة . والحنان والعطف . الرحمةُ والاقبال . وكأنه يقول يا الله اجعلنى محمولاً على الاسباب التى حملت عليها الاحباب . الذين جذبتهم اليك بيد عنايتك واخرجتهم من اسر نفوسهم وتولّيتهم بحفظك ورعايتك حتى اصل بك اليك فى اقرب مدةٍ من غير تعبٍ ولامشقة ﴿وسر بى فى سبيله القويم وصراطه المستقيم﴾ اى طريقه المعتدل الذى لا اعوجاج فيه والمعنى اجعلنى عاملاً بشريعته تابعاً له مقتدياً به فى كل ماجاء به من عندك فقد قلت وقولك الحق . وان تطيعوه تهتدوا . ويحتمل ان يكون اراد به طريق الحب منه تعالى فانه اسهل الطرق واقربها والحب منه ان يأخذك من كل شيء فلا تحبُّ الاّ اياه وعلامته ان يمكنك من طاعته ويحفظك ظاهراً وباطناً من مخالفته ﴿الى حضرتهِ المتصلة بحضرتك القدسية﴾ نسبةٌ للقدس وهو الطهارة اى المطهرةِ عما لا يليق بها المنزّهةِ عن الاتصال المتعارف الذى هو من صفات الاجسام والذوات وانما هو اتصال علم وكرامة قال العارف بالله تعالى سيدى احمد ابن عطاء الله الاسكندرى فى حكمه . وصولك الى الله وصولك الى العلم به وإلاّ فجلّ ربنا ان يتصل به شيء او يتصل هو بشيء . وقوله وصولك الى العلم به اى الى مشاهدته تعالى بعين بصيرتك مشاهدةً تغنيك عن الدليل والبرهان واما الوصول المفهوم بين

الذوات فهو تعالى منزه ومقدس عنه . وكان الامام الجنيد رضى الله
تعالى عنه يقول كيف يتّصل من لا شبيه له ولا نظير له بمن له شبيه
ونظير هيهات هذا ظنٌّ عجيب الا بما لطف اللطيف من حيث لا درك
ولا وهم ولا احاطة الا اشارة اليقين وتحقيق الايمان انتهى . وفى
الحديث الشريف انا اعلمكم بالله واشدكم له خشية . فهو صلى الله
عليه وسلم اعرف الخلق بربه على الاطلاق وبالغٌ فى الوصول اليه
تعالى مبلغاً لا يزاحمه فيه غيره وله فى ذلك من زيادة القوة والتمكين
ما لا يحتاج الى تعريف وهو اصل هذه الحال الشريفة ومعدنها
ومنه استمد كل احدٍ ما كُتب له منها فجميع الخَلق يلتمسون من
جنابه . ويقتبسون من مشكاة اقترابه . ولا يصل الى حضرة الله تعالى
احد منهم الا بواسطة حضرته العلية ﴿ المتبلجة بتجليات محاسنه الانسية ﴾
اى المضيئة المشرقة بمظاهر انوار كمالات ذاته الجامعة لانواع الشرف
وحسن الخلال والاوصاف الجميلة التى يستأنس القلب بها ويسكن
اليها ولا ينفر منها وحاصل المعنى اوصلنى يالله اليه حتى يمدنى بعلومه
ومعارفه واحواله الحسنة فاكون من الواصلين اليك ﴿ حملاً محفوفاً ﴾
اى محوطاً ومطوقاً ﴿ بجنود نصرتك ﴾ اى انصار شريعتك . المتقلدين
بصوارم عناياتك وقدرتك . لمحافظة حدودك ونصرة دينك القويم
ووقاية السالكين به على قدم الاستقامة من آفة الشبهات المانعة من
الوصول اليك ﴿ مصحوباً ﴾ ذلك الحمل ﴿ بعوالم اسرتك ﴾ اى
احبابك المقربين من حضرتك المعصومين من كل سوء بحولك

وقوتك حتى لاتَصِلَ ايدى الاعـداء الىَّ ولا يقطعنى عنك قاطعٌ والأُسرة فى الاصل الدرع الحصينةُ وقرابة الرجلِ . والاعداء كثيرون كالشيطان والهوى والنفس والمال والاهل والبنين وغيرهم . وكون هؤلآء من الاعداء بالنسبة لمن وقف معهم لان الوقوف مع الاغيار اكبر حجاب عن الارتقاءِ لمنازل الاقتراب ﴿ واقذف بى على الباطل بانواعه ﴾ جمع نوع وهو اخصُّ من الجنس وكل مشغلٍ عن الله فهو من انواعه اى افراده المتفرقة ﴿ فى جميع بقاعه ﴾ اى اماكنه ومواطنه كلها ﴿ فادمغه بالحق ﴾ الذى هو ضده اى ازيله به وَدَمَغَهُ فى الاصل اصابَ دماغه بالضرب ويلزم منه اتلافه واذهابه ﴿ على الوجه الاحق ﴾ اي الاثبت من غيره وكأنه يقول يا الله اجعلنى مظهراً للحق فلا يقابلنى نوع من انواع الباطل فى اى مكانٍ كان الا زهق وانعدم . وتزعزع ركن بنائه وانهدم . وهو مقتبس من قوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق . والمراد ان يكون مهديًا فى نفسه هاديًا لغيره . وعلى قدر همة الطالب يكون الطلب . لاجرم ان الانسان فى ظاهر الامر لا يتجرأ على اقتحام المعارك الا اذا كان شجاعاً قادراً على مغالبة الاعداء بخلاف الجبان . فانه لا يختار الا ما فيه راحةَ نفسه باى وجهٍ كان . جعلنا الله من اهل الهدايـة ونفعنا بعلوم هذا الاستاذ الكامل اللهم آمين ﴿ وزجَّ بى ﴾ اي ادخلني ﴿ فى بحار الاحدية ﴾ اى فى الاحـدية التى هى كالبحار نسبةٌ لاسمه تعالى الاحـد قال العارفون . وهى عبارة عن تجلى ذاتى ليس للاسماءِ ولا للصفات

فيه ظهور ولا لشيء من تأثيراتها فهى تقتضى محوَ الاكوان وبطلانها
من حيث الظهور مع صحو الاعيان واثباتها من حيث البطون كما قال
الامام علىّ بن ابى طالب كرم الله وجهه . الحقيقة محو الموهوم مع
صحو المعلوم ولذا يقولون بلسان الاشارة الاحدية بحر بلا موج لكن
الامواج التى هى عبارةٌ عن الاكوان كامنةٌ فيها ولا سبيل الى
ظهورها فى هذا التجلى لانها لو ظهرت لا تكون احدية بل تكون
واحدية ويقال لصاحبها هو فى مقام الفناء وفى عين الجمع المعبر عنه
بتجريد التوحيد فهى تجريدٌ عن الاغيار . وغيبةٌ عن رؤية الآثار .
وشبّهها بالبحار التى ليس لها قرار . بجامع الاحاطة والسعة فى كلٍّ
ولذا وصفها بقوله ﴿ المحيطة بكل مركبة وبسيطة ﴾ ولا يخلو شئ
فى الكون عن ان يكون مركباً او بسيطاً فكأنه يقول المحيطة بالاشياء
كلها كما قال تعالى . الا انه بكل شئ محيط . والاحاطة لغةً هى
الاحداق بالشئ من جميع جهاته كاحاطة البحر المحيط بكرة الارض
ولا يصح ان تكون احاطة الاحدية على المعنى اللغوى كما ذكرنا وانما
هى عبارةٌ عن السعة الذاتية التى يلزم منها اضمحلال الاشياء وفنائها
فى نظر صاحب المشاهدة فمن شَهِد احدية ذاته سبحانه وتعالى لم يجد
لنفسه ولا لغيره من الاكوان ثبوتاً ولا اثراً كما هو كذلك فى
نفس الامر . والمعنى اجعلنى مستغرقاً بمشاهدة ذاتك العلية حتى لا
اشهد فى ظاهرى وباطنى ظهوراً لسواها هذا ما ظهر لى فى معنى
هذه الجملة والله تعالى اعلم بحقيقة مراده ولما كان هذا المقام مخطراً

لخروج صاحبه عن حد التكاليف طلب الخروج منه بعد الدخول فيه فقال ﴿ وانشلنى ﴾ اى خلصنى بيد عنايتك القوية ﴿ من اوحال التوحيد ﴾ اى اخطار توحيد الاحدية والتوحيد لغة الحكم بان الشيء واحد والعلم بانه واحد يقال منه وحّدتُه اى وصفته بالوحدانية كما يقال شجّعتُه اى وصفته بالشجاعة . وشرعاً افراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته والتصديق بها ذاتاً وصفاتٍ وافعالاً . وفى اصطلاح اهل الحقيقة تجريد الذات الالهية عن كل ما يُتصوَّر فى الافهام ويُخيَّل فى الاذهان والاوهام واوصلنى ﴿ الى فضاء ﴾ اى سعة رياض آمان ﴿ التفريد ﴾ اى التوحيد الكامل ﴿ المنزه عن الاطلاق والتقييد ﴾ لأقوم بما يلزمنى وما يجب علىّ وحاصل ما فى المقام ان التفريد على ثلاثة اقسام . مطلق وهو تفريد من غرقوا فى بحار الاحدية ولم يشهدوا سوى الذات العلية . ومقيدٌ وهو تفريد اهل الحجاب الواقفين مع الاسباب دون المسبب والمستدلين بالصنعة على الصانع من اهل الظواهر والرسوم الذين يرون لانفسهم عملاً ووجوداً مستقلاً الى غير ذلك ويسمى هذا المقام عندهم بالفرق الاول . ومنزه عن الاطلاق والتقييد وهو الذى طلب التمكن منه وكمال الاستغراق فيه بقوله ﴿ واغرقنى فى عين بحر الوحدة ﴾ اى وحدتك الجامعة للاسماء الكريمة والصفات العظيمة ﴿ شهوداً ﴾ اى من حيث الشهود وهذا مقام المحققين الذين لا يشاهدون عيناً من الاعيان ولا كوناً من الاكوان الا بعد مشاهدته تعالى ومشاهدة

اسمائه وصفاته كما قال الصديق الاكبر رضى الله تعالى عنه ما رأيت شيئاً الا ورأيت الله قبله . فان الاكوان آثار الاسماء والصفات وتدل عليها قال تعالى . سنريهم آياتنا فى الافاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق . ورحم الله من قال *

* وفى كل شئ له آيةٌ * تدل على انه واحد *

فالعارف يرى الله تعالى قبل الآثار ويستدل به عليها والمحجوب يراها قبله ويستدل بها عليه والشيخ رضى الله تعالى عنه طلب ان يكون من اهل المقام الاول ولذا قال ﴿ حتى لا ارى ﴾ بعين بصرى وبصيرتى ﴿ ولا اسمع ﴾ بأُذن علانيتى وسريرتى ﴿ ولا اجد ﴾ بيقظتى وغيبتى ﴿ ولا احسّ ﴾ بظاهرى وباطنى ﴿ الا بها ﴾ اى بالوحدة ويقال لصاحبها هو فى مقام البقاء لكونه يرى قيام الله تعالى على كل شئ . فهى بحرٌ كما قال الشيخ امدنا الله بمدده والاشياء الكونيةُ باسرها كالامواج يُقيمها البحر ويُقعِدها وكلها به قائمة

* وفى هذا المعنى قلت *

* ان الوجود الذى نراه * له تعالى بلا مزاحمْ *

* بغيره لا يقوم شئٌ * والكلُّ بالحق جلَّ قائمْ *

ومقام البقاء هذا هو المسمى بالجمع والفرق فجمعه شهوده لربه وفرقه شهوده لصنعهِ وكمال الاستغراق فيه والله اعلم . هو المقام المعبر عنه بجمع الجمع قالوا وهو عبارةٌ عن اخذ الحق عبدَهُ بعد بقائهِ فيسكره فى شهود ذاته تعالى فيصير فانياً عن نفسه وعن السوى بالكلية

لكنه يردُّ الى الصَّحو عنـد اوقات الفرائض والقيـام بامور الخلق فيكون رجوعاً لله بالله لا للعبد بالعبد . وهـذا الرجوع يُسمى فى اصطلاحهم الفرق الثانى وهو شهود قيام الخلق بالحق ورؤيـة الوحدة فى الكثرة والكثرة فى الوحدة من غير احتجاب باحدهما عن الآخر وهـذه الولاية الكاملة . والحاصل انه طلب من الله تعالى الاستغراق فى شهود عين الوحدة حتى لايرى الاَّ بها ولا يسمع الاَّ بها ولا يجد الا بها ولا يحس الا بها فهو بها ولها ﴿ نزولاً وصعوداً ﴾ اى ظاهراً وباطناً حاضراً وغائباً فارقاً وجامعاً باقياً وفانياً وهكـذا فى كل حالٍ وضدّه فى مقام التدلى والترقى . وهـذا معنى حديث لا يزال عبدى يتقربُ الىَّ بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بهـا ورجله التى يمشى بها الخ . اى كنت مسموعه عند سمعه الحوادث ومبصورَه عند ابصاره الحوادث وحوله وقوته عند مشيه وبطشه اى يشهدنى كذلك لانها آثارى وهى ظاهرة بى جعلنا الله من المتحققين بذلك بمنه وكرمه ﴿ كما هو ﴾ اى الامر فى نفسه ﴿ كذلك ﴾ من الازل الى الابد ﴿ لم يزل ﴾ اى لم ينفك عن كونه ﴿ وجوداً ﴾ حقاً ثابتاً لله تعالى دون غيره وجميع العوالم باطلةٌ وباقيةٌ على ماهى عليه من عدمها الاصلى كما فى حديث . كان الله ولا شىء معه . وهو الآن على ما عليه كان ﴿ واجعل اللهم ذلك ﴾ اى ماطلبته من اغراقى فى عين بحر الوحدة وغيره ﴿ لديه ﴾ صلى الله عليـه وسلم

﴿ ممدوحاً ﴾ اى غير مذموم لكونه طبق شرعه القويم ودينه المستقيم ﴿ وعندك ﴾ اى لديك يا الله ﴿ محموداً ﴾ لانك قلت فى كتابك الكريم . قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ﴿ واجعل اللهم الحجاب الاعظم ﴾ الذى وصفهُ تقدَّم ﴿ حياة روحى كشفاً وعياناً ﴾ اى من جهة الكشف والعيان و إلاّ فهو رضى الله عنه متحققٌ علماً بان الحجاب الاعظم صلى الله عليه وسلم هو فى الحقيقة حياة روحه وارواح العوالم باسرها ولهذا قال ﴿ اذ الامر كذلك رحمةً منك وحناناً ﴾ فيكونُ طلب ادراك هذا الامر بالكشف والعيان ليحصُل على كمال الحياة وهذه مرتبةٌ اولى وصاحبها هو المالك . وتحتها مرتبتان احداهما مرتبةُ المدرك بعلمه وهو السالك . والثانية مرتبة الجاهل وهو بحكم الهالك . والكشف لغةً رفع الحجاب . وفى اصطلاح اهل الحقيقة هو الاطِّلاع على ما وراء الحجاب من المعانى الغيبية والامور الخفية وجوداً وشهوداً وليس هو كما يُكشف الغطاء عن الآنية والستر عن الباب بل هو امرٌ اذا ظهر يرى العبد ان ذلك لم يكن مستتراً بشىء وانما الادراك كان عن الوصول فقوّاه الحق تعالى فادرك ما كان ظاهراً . والعيان المشاهدةُ وهى تُطلق على رؤية الاشياء بدلائل التوحيد وتطلق بازاء رؤية الحق والاشياء وتطلق بازاء حقيقة اليقين من غير شك . والحاصل ان الله تبارك وتعالى جعل الحقيقة المحمدية واسطةً لإِيجاد مخلوقاته تفضلاً منه واحساناً فالارواح التى لاتشاهد ذلك ولا تدرِكُ انه صلى الله عليه وسلم روحها وعين

حياتها كأنها اموات ﴿ واجعل اللهم روحه سر حقيقتي ذوقاً وحالاً ﴾ اى من جهة الذوق والحال لا من جهة العلم والخيال وذلك ليحصل على كمال المعرفة به صلى الله عليه وسلم . فالروح المحمدية هى على التحقيق سر كل حقيقة وباطن كل رقيقة . غير ان هذا الامر من المعانى الخفية عن العقول فلا يمكن ادراكه بمجرد العلم والخيال ولا يتم بدون مساعدة الذوق والحال كحلاوة العسل ومرارة الحنظل ونحو ذلك . والذوق فى معرفة الله تعالى عبارة عن نور عرفانى يقذفه الحق بتجليه فى قلوب اوليائه يفرقون به بين الحق والباطل من غير ان ينقلوا ذلك من كتاب او غيره . والحال فى اللغة هو نهاية الماضى وبداية المستقبل . وفى اصطلاح القوم هو ما يَرِدُ على القلب من غير تعمّدٍ ولا اجتلابٍ ولا اكتساب من طربٍ او حزنٍ او قبضٍ او بسطٍ او هيئةٍ . ومن شرطه ان يزول ويعقبه المثل وان يبقى ولا يعقبه المثل فمن اعقبه المثل قال بدوامه ومن لم يعقبه المثل قال بعدم دوامه فافهم . واعلم ان الحقيقة الانسانية هى اللطيفة المدركة الربانية المودَعة فى ذات الانسان . وهى التى تميّز بها النوع الانسانى عن الحيوانات العُجم ويقال لها النفس الناطقة ويعبر عنها بالروح والنفس والقلب والعقل والسر فهذه الاسماء لشىء واحد اختلف بالاعتبار وتعدّد بتعدد الصفات فان مالت الى النقائص كانت نفساً . وان مالت الى الكمالات كانت روحاً وقلباً وعقلاً وان تخلصت تصفيتها وتمكنت من الكمال بذهاب آثار النقائص كلها كانت سرّاً وحينئذ

تَقْوَى على حمل الاسرار . وتسطع على ذات صاحبها شموسُ الانوار .
فيتحقق بالاوصاف العبديّةِ . ويستقر قدمه فى مقامات العبودية .
والحاصل ان الروح المحمدية هى سرٌّ حقيقة كل نبيٍّ ووليٍّ وهى
المدةُ لروح كلِّ شخص على قدر استعداده وقابليته فمن ادرك ذلك
علماً فهو فى مرتبة علم اليقين . ومن ادركه كشفاً وعياناً فهو فى مرتبة
عين اليقين . ومن ادركه ذوقاً وحالاً فهو فى مرتبة حق اليقين .
واليقين هو ما نزلت بهِ الكتب وجاءت به الرسُلُ من الشرائع
والاديان والاخبار الصادقة . فالعوام يعلمونه فقط . والخواص
يُعاينونه بالكشف عنه فقط . وخواص الخواص يتحققونَ به فى
ذواتهم بحيث يكون هو ولاهم لانه حقٌّ مضافٌ الى اليقين وماسواه
باطل . وقال السيد الجرجانى فى تعريفاته حق اليقين عبارةٌ عن فناء
العبد فى الحق والبقاء به علماً وشهوداً وحالاً لا علماً فقط . فعلمُ كلِّ
عاقلٍ الموتَ علم اليقين فاذا عاين الملائكة فهو عين اليقين فاذا ذاق
الموت فهو حق اليقين والله تعالى اعلم ﴿ وحقيقته جامع عوالى فى مجامع
معالى حالاً ومآلاً ﴾ عوالم الشخص اجزاؤه واحواله الظاهرة والباطنة
ومجامع معالمه هى مواضع ادراكاته وقواه العقلية التى يهتدى بها الى معرفة
الشىء ويستدل بها عليه كالعين والأُذن وبقية الحواسِّ الحسية والمعنويّة
والحال عبارة عن الوقتِ الحاضر . والمآل عبارة عما هو مستقبل . وملخص
هذه الجملة انه رحمه الله تعالى طلب من الله ان يَفْنِىَ عن جميعه فى الحقيقة
المحمدية التى هى مادة العوالم الكونية وان يكون متّصفاً باوصافها

مشغولَ الظاهر والباطن بمشاهدته صلى الله عليه وسلم واتّباعه فى كل ما امر به ونهى عنه فى عموم اوقاته كما هو شأنُ اكابر القوم . فقد قال الامام الشاذلى رضى الله تعالى عنه لو غاب عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة عينٍ ما عددتُ نفسى من المسلمين . ﴿وحققنى بذلك﴾ اى اجعلنى متحققاً بشهود الحقيقة المحمدية لأَطَّلِعَ ﴿على ما هنالك﴾ من اسرار المعارف الالهيّة واتحقّقَ ﴿بتحقيق الحق الاول والآخر والظاهر والباطن﴾ اى أَتَّصِفَ بشهوده تعالى فلا اشهد الا اياه . قال بعضهم ابى المحققون ان يشهدوا غير الله لما حققهم به من شهود القيومية واحاطة الديمومية وقال امامنا الشاذلى قدس الله سره انّا لننظر الى الله ببصر الايمان والايقان فاغنانا ذلك عن الدليل والبرهان ونستدل به على الخلق هل فى الوجود شيءٌ سوى الحق فلا نراهم وان كان ولا بد فنراهم كالهباء فى الهواء ان فتشتهم لم تجدهم شياء . وكان رضى الله تعالى عنه يقول قد محق الحق جميع الاغيار بقوله هو الاول والآخر والظاهر والباطن فقيل له فأين الخلق قال موجودون ولكن حكمهم مع الحق تعالى كالأنابيب التى فى كرة الشمس تراها صاعدةً هابطة فاذا قبضتَ عليها لا تراها فهى موجودة فى الشهود مفقودة فى الوجود انتهى فالحق تعالى هو الموجود بكل اعتبار ولا وجود لشىء الا بطريق التبع عند ارباب البصائر ولهذا قال ﴿يا اول فليس قبلك شىءٌ﴾ فهو القديم الذى كان قبل كل شىء فلا اوّليةَ لوجوده تعالى ﴿يا آخر فليس بعدك شىء﴾

فهو الباقى بعد هلاك كل شىء فلا آخرية لوجوده تعالى ﴿ يا ظاهر فليس فوقك شىء ﴾ فهو العالى على كل شىء والغالب لكل شىء ولا ظهور بالقهر والسلطان فى الدارين لاحد سواه ﴿ يا باطن فليس دونك شىء ﴾ فهو المحتجب عن العيون والاوهام فلا تدرك ذاته تعالى ولا شىء اقرب منه الينا بل هو اقرب من كل شىء الى نفسه فقد قال تعالى وقوله الحق ونحن اقرب اليه منكم ولكن لاتبصرون . وقال ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وكلام الشيخ مأخوذ من قوله صلى الله عليه وسلم اللهم انت الاول فليس قبلك شىء وانت الآخر فليس بعدك شىء وانت الظاهر فليس فوقك شىء وانت الباطن فليس دونك شىء اقض عنى الدين واغننى من الفقر ﴿ اسمع ندائى ﴾ اى تقبل منى واستجب دعائى ﴿ فى بقائى وفنائى ﴾ اى فى حال شهودى لك فى كل شىء وغيابى بك عن وجودى وعن كل شىء والمراد ان يتولى الله تعالى اموره ويختار له فى الحالتين دون ان يختار هو لنفسه وبهذا يندفع ما عسى ان يقال من ان الفانى كالميت فكيف يقع منه دعاء او غيره ﴿ بما سمعت ﴾ اى بمثل ما تقبلت واستجبت ﴿ به نداء عبدك زكريا ﴾ عليه السلام حيث قال رب لا تذرنى فرداً وانت خير الوارثين . رب هب لى من لدنك ذرية طيبة . وانى خفت الموالى من ورائى وكانت امرأتى عاقراً فهب لى من لدنك ولياً يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضياً . فاستجاب له بقوله تعالى يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه

يحى لم نجعل له من قبلُ سميًّا . والظاهر من تخصيصه لزكريا دون غيره من الانبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم انه طلب الوارث وقد استجاب الله تعالى نداءه بذلك حيث رزقه الذريّة الصالحة من صُلبه ووهبه ولد قلبه القطب الاكبر ابا الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه فورث علومه واسراره . ونشر فى المشارق والمغارب انواره ﴿ واجعلنى عنك راضياً وعندك مرضياً ﴾ رضاء الخلق عن الله تعالى رضاهم بما يفعل ورضاؤه عنهم ان يوفقهم للرضاء عنه . والمعنى اجعلنى منقادًا لاحكامك مسرور القلب بقضائك وقوله وعندك مرضيًّا اى مقبولا والرضاء ضد السخط وله ثلاث مراتب . الاولى ان يرضى بالله تعالى رباً بسخط عبادة ماسواه وهى مرتبة العامة . والثانية ان يرضى عن الله تعالى فى كل ما قضاه وقدره وهى مرتبة الخواص . والثالثة ان يرضى برضاء الله عزّ وجل فلا يرى لنفسه سخطاً ولا رضاء فيكون مسلوب الارادة منقطعاً عن تدبيره الى تدبير الله وعن اختياره الى اختيار الله وعن نظره الى نظر الله وعن مصالحه الى علم الله لملازمته التسليم والرضاء والتفويض والتوكل على الله وهى مرتبة خواص الخواص نفعنا الله بهم وجعلنا منهم بفضله واحسانه ﴿ وانصرنى بك لك . على عوالم الجن والانس والملك ﴾ العبدُ الموفّقُ لاتباع الاوامر واجتناب النواهى وللاعمال الحسنة المقبولة . منصورٌ بالله على المطيعين من عوالم الجن والانس من حيث انهم لا يجدون لتنقيصه ومواخذته واقامة الحدود عليه سبيلا وعلى

العاصين منهم من حيث انه ظهر عليهم بالطاعة ومن حيث انهم لا يقدرون على ان يفتنوه لحفظ الله له من كيدهم وشرهم وغير ذلك وعلى الملك من حيث انه ظهر منـه ما ينافى دعواهم فى قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفكُ الدماء ومن حيث ان الحفظة منهم لا يستطيعون ان يكتبوا فى صحيفته ذنباً ٠ وناصرٌ لله من حيث انه ظهر فيه سرٌّ قوله تعالى للملائكة انى اعلم ما لا تعلمون ٠ ومن حيث انه قام بطاعته تعالى وقعد عن معصيته وشهد انه هو الذى خلق له الطاعة وحلاَّه بها ونسبها اليه تفضلاً منه واحساناً ٠ والعبدُ الفانى فى الله المأخوذ بالكلية عما سواهُ تعالى منصورٌ بالله عليهم لكونه لا يشعرُ بهم ولا يفتقر اليهم وناصرٌ له تعالى لكونه لا يرى لغيره وجوداً ولا فعلاً ولا حركةً ولا سكوناً واذا نزل به امر مكروه فلا يتوجَّه فى كشفه عنه الا اليه وحده كما وقع لسيدنا ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم مع جبريل الامين عليه السلام اذ اتاه وهو موثق فى المنجنيق لِيُلقى فى النار فقال له يا ابراهيم الكَ حاجة قال امَّا اليك فلا قال سل ربَّكَ فقال حسبي من سوالى علمه بحالى فهذه نصرةٌ بالله لله على العوالم كلها (ومنها النار) اتت لهذا السيد الجليل من جانب الله تعالى فعوَّل عليه ووقف فى مركز الاضطرار والافتقار اليه وحده ولم يلتفت الى الاغيار بوجهٍ من الوجوه ٠ فكان جزاؤه ان جعل الله عليه النار برداً وسلاماً ٠ واقول ان حضرة الشيخ عبد السلام بن بشيش رضى الله تعالى عنه قد اشتهر بالانقطاع الى الله تعالى

ظاهرا وباطناً وكان لا يركن الى شئ من الدنيا حتى انه كان يسكن
غاراً فى بعض الجبال . وقد رُوى عن سيدنا ابى الحسن الشاذلى انه
قال له كيف حالك ياسيدى فقال انى نظرتُ الخلق وقسمتهم قسمين
اعداء واحباء فتحرزت من الاعداء فرأيت ان احدهم لا يقدر
ان يشوكنى بشوكةٍ لم يردن الله بها . ثم تعلقت بالاحباء فرأيت ان
احدهم لا يستطيع ان ينفعنى بشئ لم يقدره الله لى فصرفت نظرى
عنهم . ومن ادعيته . اللهم ان قوماً قد سألوك ان تُسخر لهم خلقك
فسخرتهم لهم فرضوا منك بذلك واسألك اللهم اعوجاج الخلق
عنى حتى لا يكون التجائى الا اليك . وهذا كله من باب النصر بالله تعالى
على ماسواه . وحاصل ما تقدم ان معنى قوله انصرنى بك لك على
عوالم الجن والانس والملك اعنىِ وقونى بطاعتك والغنى بك عن
سائر خلقك حتى لا يكون لاحدٍ منهم علىَّ سلطانٌ بل يكون
السلطانُ لك وحدك فارى انك انت المعطى المانع النافعُ الضار .
والفاعلُ الحقيقىُّ المنفردُ بالتدبير والاختيار . وهذا المعنى صحيح كما
لا يخفى . لكن الاصح ان مراد الشيخ اعنىِّ بحولك وقوتك على
فناء دوائر حسى فلا ارى لها وجودا ولا ظهورا بل ارى الوجود
والظهور الحقّ لك وحدك لا شريك لك . ودوائر الحس هى المكونات
التى تدور بها الحواس وتدركها وهى العوالم باسرها لا خصوص
عوالم الجن والانس والملك . لان تخصيصهم بالذكر من باب التغليب
وبالجملة فمتى غاب العبد عن الخلق بشهود الحق سبحانه وتعالى فهو

منصورٌ بالله وناصرٌ لله اذ لا يرى معه غيره ولا يقع منه التفات
لسواه ﴿ وايدنى بك لكَ . بتأييد من سلك فملك . ومن ملك فسلك ﴾
العبدُ الذى ايقظه الله من سِنَة الغفلة وانعم عليه بموجبات الرضا
وحرّك همته لطلب الوصول اليه فنهض وتقلّد بصوارم الاستقامة
والحزم وجاهد نفسه فى سبيل الله تعالى فأذلّها وتغلّب عليها ولازال
يترقى فى المقامات الى ان وصل الى مقام الشهود الذاتى . هو الذى
سلك فملك . والعبدُ الذى فاجأَته عناية الله تعالى واختطفته يدُ الجذبات
الالهية فأوصلته الى المقام المذكور من غير تعبٍ ولا طلب ولا سعيٍ
منه لذلك ثم تدلّى فى مراتب الوجود وسار على صراط الشرع وقام
بحقوق العبودية والشكر لله تعالى الذى طوى له الطريق اليه
وفتح له الباب . بمحض فضله العارى عن الاسباب . هو الذى
ملك فسلك . ويقال للاول مريد وللثانى مرادٌ ومجذوب فشأنُ
المريد الترقى والصعود من ادنى الى اعلى لانه اول ما يشهد الآثار
وهى الافعال ثم يترقّى منها الى مشاهدة الاسماء ثم الى مشاهدة
الصفات ثم الى مشاهدة الذات . وشأنُ المراد التدلّى والهبوط من
اعلى الى اسفل لانه اوّل ما يشهد الذات ثم الصفات ثم الاسماء ثم
الآثار . فما ابتدأ به الاول من شهود الآثار اليه ينتهى الثانى . وما
ابتدأ به الثانى من شهود الذات اليه ينتهى الاول والتحقيق ان كلاً
منهما مراد ومجذوب قال الله تعالى الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى
اليه من ينيب . إلاّ أن الاول يشهد الاشياء لله ويستدلّ بها عليه والثانى

يشهدها بالله ويستدل به عليها والاول عامل على تحقيق الفناء والمحو والثانى مسلوك به طريق البقاء والصحو وفى هذا يقول بعض العارفين عن الحضرة الالهية *

* تلك آثارنا تدل علينا * فانظروا بعدنا الى الآثار *

فقوله تلك آثارنا اشارة الى حال الاول وقوله فانظروا بعدنا اشارة الى حال الثانى . اى استدلوا علينا بآثارنا واشهدوها بعد شهودنا فافهم . واعلم ان الفريقين يصلحان للمشيخة والارشاد بخلاف السالك الذى لم يصل الى درجة المشاهدة والمجذوب الذى دام له الجذب فانهما غير صالحين لذلك . اما الاول فلنقصه . واما الثانى فلعدم مروره على المقامات ولاشتغاله بحاله عن حال غيره . ثم التأييد عبارة عن الاعانة وتقوية البصيرة بالهداية والرشد وقد اعان الله كلاً منهما بما ذكرناه من احوالهما الشريفة وامدهما بجنود الانوار وقواهما ظاهراً وباطناً حتى وصلا اليه ولا وصول الى الله الا بالله

* ولله در من قال *

اذا لم يُعِنك الله فيما تريده * فليس لمخلوقٍ اليه سبيلُ
وان هو لم يُرشدْك فى كل مسلكٍ * ضللتَ ولو ان السِّماك دليلُ

فمعنى قول الشيخ امدنا الله بمدده ايدنى بك اعنى وقونى بحولك وقوتك وقوله لك اى لوجهك لا لأغراض نفسى وانما خصّ التأييد الحاصل لهما بالطلب دون غيره لِمَا فيه من مزيد العناية والعصمة والتوفيق التام الموصل الى درجة اهل النهاية وارباب الكمال الدالين

على الله تعالى باذنه المتبرئين فى جميع حركاتهم وسكناتهم من حولهم وقوتهم وشهود نفوسهم ومراعاة حظوظهم وغير ذلك وهذا هو مطلوب كل عارف ﴿ واجمع بينى وبينك ﴾ جمع السلامة من شهود الغير حتى لا اشهد معك غيرك ﴿ وازل عن العين غينك ﴾ اى امح وامحق عن بصيرتى كلَّ حجابٍ يمنعنى من مشاهدتك ولا تحجبنى عنك طرفة عين. والغين دون الرين وهو الصداء فان الصداء حجابٌ رقيق يزول بالتصفية ونور التجلى لبقاء الايمان معه والرّين هو الحجاب الكثيف الحائل بين القلب والايمان ولذا قالوا الغين هو الاحتجاب عن الشهود مع صحة الاعتقاد قاله السيد الجرجانى فى تعريفاته ﴿ وحُل بينى وبين غيرك ﴾ اى اجعل حائلاً وحاجزاً يحول بينى وبين ما سواك حتى لا يقطعنى عنك قاطع واكون على الدوام مشغول الظاهر والباطن بمشاهدتك ﴿ واجعلنى من أئمة خيرك وميرك ﴾ اى من جملة اصفيائك الذين اغنيتهم بعطائك وجعلتهم سبب الغنى لكثيرٍ من عبادك وهم الوارثون المحمديّون الذين اذا ظهر واحدٌ منهم فى عصرٍ حصل به النفع لاهله وافاض الله عليهم نعمه بسببه وهم لا يشعرون . والمراد ان كلاًّ منهم امامٌ يقتدى به الخير ويتبعه فيوصلهُ لاهله ومستحقيه ولا شكّ ان من كان كذلك كان اماماً ايضاً فى الخير اى فى كل امرٍ محمودٍ والمير من جملة الخير واصله جلب الطعام للاكل ﴿ الله الله الله ﴾ كرر هذا الاسم الشريف ثلاث مرات لان مراتب الفناء ثلاثٌ فناء فى الافعال ومنه

قولهم لا فاعل الاّ الله . وفناءٌ في الصفات اى لا حيٌّ ولا عالم ولا قادر ولا مريد ولا سميع ولا بصير ولا متكلم حقيقةً الا الله . وفناء في الذات اي لا موجود على الاطلاق الاّ الله تعالى فاذا قال الله شاهد افعاله في خلقه واذا قالها ثانياً شاهد الصفات واذا قالها ثالثاً ارتقى الى مشاهدة الذات وعلى التالى ان يكررها ويقصد هذه المعانى الآتية التي اشار بها الى المراتب المذكورة بقوله ﴿ الله منه بدء الامر ﴾ اى الشأن الكلىّ الجامع لكل الشؤن وهو النورُ المحمدىّ الشريف هو اول صادرٍ عنه سبحانه . وانما سُمىَ امراً لان الله تعالى اوجده بامر كُنْ من لاشئ بغير واسطةِ شئ ويُسمى بالقلم الاعلى وبالدرة البيضاء وبالعقل الاول وبروح الارواح وبالأب الاكبر وبانسان عين الوجود وبالانسان الكامل وغير ذلك من الاسماء المشهورة عند العارفين ﴿ الله الامر اليه يعود ﴾ اى يرجع وينتهى اليه كما بدأ منه ﴿ الله واجبُ الوجود ﴾ اى الوجود الذى هو ضد العدم واجبٌ اى ثابت لله تعالى وحده ﴿ وما سواهُ مفقود ﴾ اى معدوم في نظر اهل الشهود بل قال الامام ابن عطاء الله الاسكندرى قدس الله سره ان ماسوى الله تعالى عند اهل المعرفة لا يوصف بوجودٍ ولا فقدٍ اذ لا يوجد معه غيره لثبوت احديته ولا فقد لغيره لأنه لا يُفقد الا ما وُجد ولو انهتك حجاب الوهم لَوَقع العيانُ على فقد الاعيان . ولأشرق نور الايقان فغطّى وجود الاكوان . وقال بعضهم *

مذ عرفتُ الاله لم ارَ غيراً * وكذا الغير عندنا ممنوعُ

مذ تجمعت ما خشيت افتراقاً * فانا اليوم واصل مجموع

وقال الشيخ الاكبر قدس الله سره من شهد الخلق لا فعل لهم فقد فاز ومن شهدهم لا حياة لهم فقد حاز ومن شهدهم عين العدم فقد وصل ولله در من يقول *

الله قل وذر الوجود وما حوى * ان كنت مرتاداً بلوغ كمال
فالكل دون الله ان حققته * عدم على التفصيل والاجمال
واعلم بانك والعوالم كلها * لولاه فى محو وفى اضمحلال
من لا وجود لذاته من ذاته * فوجوده لولاه عين محال
فالعارفون فنوا بان لم يشهدوا * شيئاً سوى المتكبر المتعالى
ورؤا سواه فى الحقيقة هالكاً * فى الحال والماضى والاستقبال

﴿ان الذى فرض عليك القرآن﴾ اى اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه ﴿لرادك﴾ يا اشرف الخلق بعد الانتقال من الدنيا والرد الصرف والرجوع ﴿الى معاد﴾ اى مرجع عظيم يغبطك به الاولون والآخرون وهو المقام المحمود الذى وعدك ان يبعثك فيه واكثر المفسرين على ان المراد بالمعاد مكة وكان صلى الله عليه وسلم اشتاقها بعد ما هاجر منها لانها مولده وموطنه ومولد آبائه وبها عشيرته ومقام ابراهيم عليه السلام فانزل الله عليه هذه الآية ووعده بالغلبة والظهور والعود اليها فدخلها يوم الفتح مؤيداً منصوراً وكأن الشيخ نفعنا الله ببركاته لما وردت عليه الآية الكريمة وهو فى دار هجرته الى الله استبشر بالعود الى الآثار التى هاجر منها والرجوع

اليها على حالةٍ شريفةٍ لا تُؤثر فيه ولا تحجبُه عن مولاه فتلاها طالباً من الله تعالى ان يصدقَه فى ذلك وعده كما اصدق وعده حبيبه صلى الله عليه وسلم ومنبهاً على ان الرجوع اليه تعالى وشهود قيامه على الخلق امرٌ مطلوب من العبد فى سائر الاحوال كما اشار الى ذلك بقوله ﴿فى كل اقترابٍ وابتعاد وانتهاضٍ واقتعاد﴾ اى فى كل امرٍ من امور القرب كالايمان والطاعة . والبعد كالكفر والمعصية . والنهوض كعلو الهمة وجهاد النفس والقيام بالواجبات والمندوبات . والقعود كفتور الهمة وعدم الاقبال على الله تعالى والانهماك فى الشهوات والجهالات وهكذا فى كل امرٍ وضدِّه سواء كان حسيّاً او معنوياً فالعبد اذا شهد ان الوجود الحقيقىّ والفعل فى كل حالٍ لله تعالى وحده لا شريك له ورجع الى الآثار على هذا الوجه مصحوباً بالتأييد الالهى كان رجوعه بالله لله وكانت الاحوال كلها حسنةً عنده ومقبولةً لوجود قيامها بالله تعالى ومرجوع امرها اليه كما قال القائل

اذا ما رأيتَ الله فى الكل فاعلاً * رأيتَ جميع الكائنات مِلاحا
وان لم تجد الاَّ مظاهرَ صنعه * حُجبتَ فصيَّرتَ الملاحَ قِباحا

وليس المراد ان يستحسن العبدُ ما قبَّحه الشرع الشريف فلا بدَّ له من القيام بالأدب والاَّ حلَّ به العطب . وقد بينت ذلك عند شرح قوله بجميع الشؤن وهذه هى المعرفة الكاملة والهداية التامّة المقصودة وقد صرَّحَ بطلبها حيث اتى بدعاء اهل الكهف المجانس لمطلوبه فقال ﴿ربنا آتنا من لدنك رحمةً وهيئ لنا من امرنا رشداً﴾ اى اجعل امرنا كله

رشداً واهتداء للطريق الموصل للمطلوب برحمةٍ منك وفضلٍ يأتينا من عندك والظاهر انه قصد بهذا الدعاء وما يأتي بعده نفسه واتباعه السالكين طريقه المرضية ﴿ واجعلنا ممن اهتدى ﴾ اى استرشد واستدلّ ﴿ بك ﴾ على ثبوت آثارك ﴿ فهدى ﴾ اى فارشد ودلّ عليك بانوارك ﴿ حتى لا يقع منا نظرٌ الا عليك ﴾ فنكون من الكاملين القائلين مارأينا شيئاً الاّ ورأينا الله قبله ﴿ ولا يسير بنا وطرٌ الاّ اليك ﴾ اى ولا يبعثنا باعثٌ لحاجةٍ الا ويكون ذلك لك لا لأغراض نفوسنا ولا لحظٍّ من حظوظنا والمراد ان يكون هو واهل طريقه من المخلصين لله تعالى فى حركاتهم كلها فلا يعملون عملاً صالحاً لثوابٍ ولا لسمعةٍ واكتساب جاهٍ وغير ذلك قال تعالى وما أُمروا الاّ ليعبدوا الله مخلصين له الدين . وقال العارفون العادة تنقلب عبادة وذلك يتأتّى فيما اذا نويتَ بالاكل والشرب مثلاً التقوّى على الطاعة لا الاستلذاذ . وبمضاجعة زوجتك قضاء حقها وحقك المتعين فى الشرع وبالجماع تحصين دينك وتكثير امة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى هذ افقس وذلك لا يكون الا بتوفيق من الله تعالى ﴿ وسر بنا فى معارج مدارج انّ الله وملائكتهُ يصلون على النبى يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾ اى اجعل سيرنا وارتقاءنا فى صلاتنا وسلامنا على نبيك وحبيبك فى درجات طُرُقِ امتثالِ امرك والاقتداء بك وبملائكتك واقدارك لنا على القيام بذلك . لانك انت البرُّ المحسنُ وما يظهر علينا فانما هو من آثار اوصافك . وهذه

الآية الكريمة من اعظم الادلة على الامر بالصلاة على النبي صلى الله
عليه وسلم وانها من اعظم القربات . والاحاديث الواردة فى فضلها
كثيرة مشهورة وسوقها هنا يخرجنا عن دائرة الاختصار المقصود .
والذى استقر عليه الامر بين العلماء ان الامر فى قوله تعالى . يا ايها
الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما . للوجوب وقد اجمعوا عليه ولو
فى العمر مرة . ثم اختلفوا فى التعيين فقيل تجب كل ما ذكر وقيل فى كل
صلاة من غير تعيين المحل وقيل فى التشهد وقيل فى الجلوس الاخير
قبل السلام . ومازاد على الواجب فهو متأكد الاستحباب فينبغى
الاكثار منها من غير حصر لما فيها من القيام بمراسم العبودية
والتخلق باخلاق الله تعالى ولعظم فضلها وكثرة نفعها للمصلى وقد
تقدم معناها فى اول الكتاب وذكرنا بعض فضائلها فراجع ذلك ان
شئت . واعلم ان العلماء اجمعوا على ان فى هذه الآية من تعظيم النبى
صلى الله عليه وسلم والتنويه بقدره العلى ماليس فى غيرها وقال
بعضهم هذا التشريف الذى شرف الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم
بقوله ان الله وملائكته الآية اتم واجمع من تشريف آدم عليه السلام
بامر الملائكة بالسجود له لانه لايجوز ان يكون الله مع ملائكته
بذلك التشريف بخلافه هنا فالتشريف الصادر منه تعالى ابلغ من
تشريف تختص به الملائكة من غير ان يكون الله تعالى معهم فى ذلك
وقال الحافظ السخاوى هذه الآية مدنية وان الامر بالصلاة عليه
صلى الله عليه وسلم كان فى السنة الثانية من الهجرة وقيل فى ليلة

الاسراء وان المقصود منها ان الله تعالى اخبر عباده بمنزلة نبيّه صلى الله عليه وسلم عنده فى الملاء الأعلى بأنه يُثنى عليه عند الملائكة المقرّبين وان الملائكة يصلّون عليه ثم امر اهل العالم السفلى بالصلاة عليه والتسليم ليجتمع الثنآء عليـه من اهل العـالمين العلوى والسفلى ﴿ اللهمّ فصل وسلم منـا عليه ﴾ كما امرتنا ﴿ افضل الصلاة ﴾ اى اكثرها خيراً وانما ها بركـةً ﴿ واكمل التسليم ﴾ اى اتمّه واعمّه ﴿ فانّا لا نقدر ﴾ لعجزنا وضعفنا ﴿ قدره العظيم ﴾ اى لا نقوى على القيام بواجب حقّهِ الجزيل ومقامه الجليل ﴿ ولا ندرك ما يليق به ﴾ اى بقدره العظيم وما يناسبُه ﴿ من الاحترام والتعظيم ﴾ اى التوقير والتبجيل فكن انت يا ربّنـا المتولّي لذلك والقائم به عنا قياماً يوافق امرك . ويناسب منزلته ومكانته عندك . ثم ازداد عبودية واستغراقاً فقال ﴿ صلوات الله تعالى ﴾ اى رحمتهُ وعطفهُ وحنانه تقدّس وارتفع عما لا يليق به ﴿ وسلامه وتحيّاتهُ ﴾ جمع تحيّة وهى ان يقال حيّاك الله والسلام بمعناها وبمعنى الامان ﴿ ورحمته ﴾ اى احسانه المقرون بالتعظيم وفى هذا دليلٌ على جواز الدعاء له صلى الله عليه وسلم بالرحمة تبعاً للصلاة فان العلماء على أن ذلك لا يجوز استقلالاً لإيهامه النقص والقصور ولأنه صلى الله عليه وسلم قال من صلى عليّ ولم يقل من دعا لى بالرحمة فلا يقـال قال النبيُّ رحمه الله لانه خـلاف الادب وخلاف المأمور به وخلاف ما يجب علينا من تخصيصه بما يشير الى تفخيمه وتعظيمه . قال الامام ابن حجر وانما دُعِيَ له صلى الله عليه

وسلم بالرحمة مع انه عينها بنصٍّ وما ارسلناك الاّ رحمة للعالمين لانّ كونه رحمةً لهم من جملة رحمة الله تعالى له ولله عليه رحماتٌ أُخر تطلب له بالدعاء بالرحمة وحصولُ تلك الرحمات له لا يمنع من طلبها نظراً لما فيه من عود الفائدة له صلى الله عليه وسلم بزيادة ترقيه الذى ليس له نهايةٌ وللداعى بزيادة ثوابه على ذلك ﴿ وبركاتُهُ ﴾ جمع بركةٍ وهى ثبوت الخير الالهىّ فى الشىء اى خيراته الكثيرة وانعاماته الغزيرة ﴿ على سيدنا ﴾ اى الذى له السيادةُ علينا معاشر المخلوقين من الأوّلين والآخرين ﴿ محمد ﴾ هو افضل اسمائه صلى الله عليه وسلم واشرفها واعظمها ولذلك قُرِن بكلمة التوحيد وسُمى به لحمد الله تعالى له ولحمد الخلق له فى السماء والأرض كما قال جدُّه عبد المطلب حين سُئلَ لِمَ سميتَ ابنك محمداً ولم يكن من اسماء آبائك وقومك قال رجوتُ ان يُحمد فى السماء والأرض وقد حقّق الله رجاءه . وقيل امه سمتهُ بذلك حيث سمعت قائلاً يقول لها انك حملت بسيد هذه الامّةِ فاذا وضعتيه فسميه محمداً ومعناه ان ذاته محمودة على السنة العالم من كل الوجوه حقيقةً واوصافاً واعمالاً واحوالاً وعلوماً واحكاماً ﴿ عبدك ﴾ اى المتصف بالعبوديّة لك وقدّمه على قوله ونبيك ورسولك لان العبودية وصفٌ ذاتىٌ للانسان بخلاف النبوة والرسالة فانهما عرضان له ولأنه اشرف الاوصاف لاقتضائه التمحّض لجناب الحق عزّ وجلّ قال تعالى . سبحان الذى اسرى بعبده وقال بعضهم على لسان الحضرة المحمدية *

* لا تدعُنى الا بيا عبدَها * فانه اشرفُ اسمائى *

﴿ ونبيك ﴾ المختص منك بالنبوة الجامعة لكل النُّبوات ﴿ ورسولك ﴾ الذى ارسلته للعالمين بشيراً ونذيراً وداعياً اليك باذنك وسراجاً منيراً ﴿ النبىّ الامىّ ﴾ هو فى كلام العرب الذى لا يُحسن الكتابة فقيل نُسب الى الأُم لان الكتـابة مكتسبه فهو على ولادة امه من عدم الكتابة وقيل نسبةٌ الى امة العرب لان اكثرهم كانوا اميين قال العلماء واميتهُ صلى الله عليه وسلم وصف كمال فى حقّهِ ومعجزةٌ دالة على نبوته لانه مع كونه اميًّا فاق جميع الخلق علماً ومعرفةً وفضلاً . فاطّلاعه على علوم الاولين والآخرين واحاطته بجميع مصالح الدنيا والدين برهانٌ قاطعٌ وحجّةٌ واضحةٌ على ثبوت نبوته ورسالته قال تعالى . وما كنت تتلو من قبله من كتابٍ ولا تخطّه بيمينك اذاً لارتاب المبطلون . ولم يَرِد لفظ الامىّ فى حقه صلى الله عليه وسلم الا مع لفظ النبىّ فلا يفرد لفظ الامىّ عنه قال تعالى . الذين يتبعون الرسول النبىّ الامىّ . الى غير ذلك وهذا الاسم من اخصِّ اسمائه صلى الله عليه وسلم ﴿ وعلى آله وصحبه عدد الشفع والوتر ﴾ بفتح الواو وكسرها لغتان الفرد . والشفع الزوجُ اى قدر عدد الاشياء شفعها ووترها وهذا مما لا يُعد ولا يتناهى فالمطلوبُ له صلى الله عليه وسلم من الصلوات والسـلام والتحيات والرحمة والبركات ما لا يعد ولا يتناهى ومثل هذا يقال فى قوله ﴿ وعدد كلماتِ ربنا ﴾ اى ولِيّنا ومالكنا وكلماته تعالى صفاته القائمة بذاته وقيل اسماؤه الحسنى وكتبه المنزلة وقيل خصوص القرآن

﴿ التامات ﴾ اى الخاليات عن كل نقص ﴿ المباركات ﴾ اى التى لا تنفد ولا تتناهى ابداً قال تعالى . قل لو كان البحر مداداً لكلماتِ ربى لنفِدَ البحر قبل ان تنفد كلماتُ ربى ولو جئنا بمثله مدداً . وقال تعالى ولو انّ ما فى الارض من شجرةٍ اقلامٌ والبحرُ يمدّه من بعده سبعة ابحرٍ ما نفِدَت كلماتُ الله . لان كل كلمةٍ تحتها من العلوم والاسرار ما لا يدخل تحت نطاق العبارة ولا تهتدى اليه الافكار . وهى عياذٌ منيع وحرزٌ حصين لكل عائذٍ بها ولائذ ولهذا قال ﴿ اعوذ بكلماتِ الله التامات ﴾ اى الوذ واعتصم باسمائه الحسنى وكتبه المنزلة قال الامام ابن الجوزى ووصف تعالى كلامه بالتمام لانه لا يجوز ان يكون فى كلامه نقص او عيب كما فى كلام الناس وقيل معنى التمام هنا ان ينتفع المتعوذ بها ويحفظ من الآفات ﴿ من شر ما خلق ﴾ اى اوجده من الانام والهوام ﴿ ثلاثاً ﴾ اى يكرر التالى ذلك ثلاث مراتٍ لحديث ابى هريرة عن الطبرانى من قاله حين يصبح ويمسى وفى رواية حين يمسى فقط لم يضره عقرب وفى الترمذى من قاله حين يمسى ثلاثاً لم يضره حيةٌ تلك الليلة ﴿ تحصنت بذى العزّة والجبروت ﴾ اى احتميتُ واعتصمتُ وامتنعت بصاحب المنعةِ والحمايةِ والعظمة والقهر ﴿ واعتصمت بربِ الملكوت ﴾ اى مالكِ الملك العظيم المتّصفِ بكمال القدرة والسلطان الذى لا يُغلب ولا يُقهر ﴿ وتوكلت على الحى ﴾ اى المُنفردِ بالحياة المُطلقةِ الذاتية ﴿ الذى لا يموت ﴾ اى لا يجوز عليه الموت وبه حياةُ كل شىءٍ ومعنى توكلت على الله اعتمدت عليه وفوضت

امري اليه واكتفيت به عمن سواه . قال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبهُ اى كافيه ﴿ اصرف عنا الاذى ﴾ اى اجعل المكروه مُنصرفاً ومُنطلقاً عنا والمراد به كلما يخالف الشرع ولا يلائم الطبع ﴿ انك على كل شيء قديرٌ ﴾ اى على ماتشاؤه من الممكنات قادر ومن ذلك صرف الاذى عنا ﴿ ثلاثا ﴾ اى يكرر التالى قوله تحصنت بذى العزة والجبروت الى هنا ثلاث مراتٍ ويكرر فى كل مرة اصرف عنا الاذى انك على كل شيء قدير ثلاثاً كذا تلقيناه ﴿ بسم الله الذى لا يضر مع اسمه ﴾ اى لا يُؤذى مع ذكر وملاحظة اسمه تعالى ﴿ شيءٌ فى الارض ولا فى السماء ﴾ لان الضار فى الحقيقة هو الله تعالى فكل من التجأ اليه باسمٍ من اسمائه نجا فمن خاف من اذيةِ احدٍ وصدق فى الانقطاع اليه تعالى والاعتماد عليه وقال انا فى حماك وكنفك يا الله حرسه الله وحماه ﴿ وهو السميع ﴾ للاقوال ﴿ العليم ﴾ بالافعال ﴿ ثلاثاً ﴾ لما فى الحديث الشريف من قال حين يُمسى بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شيءٌ فى الارضِ ولا فى السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات لم تصبه فجأة بلاء حتى يصبح ومن قالها حين يصبح ثلاث مرات لم تصبه فجأة بلاء حتى يمسى ﴿ حسبنا الله ونعم الوكيل ثلاثاً ﴾ لحديث من قال ثلاثا حين يصبح وثلاثا حين يُمسى حسبي الله ونعم الوكيل لم يزل فى امان الله وستره وكفايته مالم يخرق ذلك بكبيرةٍ ومعنى حسبنا الله الله كافينا ونعم كلمة مبالغةٍ تجمع المدح كلهُ . والوكيل من اسمائه تعالى ومعناه المتكفِّلُ

بمصالح عباده والكافى لهم فى كل امر . ولسيدى ابى الحسن الشاذلى
رضى الله تعالى عنه تأليف سماه السر الجليل فى خواص حسبنا الله
ونعم الوكيل ذكر فيه من اسرار هذه الآية الكريمة ومنافعها ما يبهر
العقول فراجعه ان شئت ويكفيك هنا فى الدلالة على فضلها وعِظَم
شأنها قوله تعالى . الذين قال لهم الناس إنّ الناس قد جمعوا لكم
فاخشوهم فزادهم ايماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمةٍ
من الله وفضلٍ لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل
عظيم . وقال صلى الله عليه وسلم اذا وقعتم فى الامر العظيم فقولوا
حسبنا الله ونعم الوكيل ﴿لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم
ثلاثا﴾ اى لا تحوّل عن معصية الله الا بعصمة الله وتوفيقه ورحمته
ولا قوة على طاعة الله الا بمعونة الله وارادته ومحبته . ومعنى
العلى المتعالى فى جلاله وكبريائه الى غير غايةٍ ولا نهاية والمراد به علو
القدر والمنزلة لا علو المكان لانه تعالى منزهٌ عن التحيز والجهة
والعظيم هو الكبير الذى وجب له الاتصاف بجميع الكمال . وتقدّس عن
كل نقصٍ وكل ما يخطرُ بالبال . وفى الحديث الشريف من قال كل
يوم لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم مائة مرة لم يصبه فقر ابداً
وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اكثروا من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم
فانها كنزٌ من كنوز الجنّة وفيها شفاءٌ من تسعةٍ وتسعين داءً ايسرها
الهم (قلت) والظاهر ان صيغتها هى الكنز والمكنوز فيها كما قال

العارفون صدق التبرّي من الحول والقوة والرجوع الى حول الله تعالى وقوته وقال سيدى الشيخ احمد زروق ممنى كونها كنزاً انها بساط الرضا والتسليم الذى هو جنة الدنيا ﴿ اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ثلاثا ﴾ المراد بالآل فى هذه الصيغة وامثالها كل مؤمن لان المقام مقام دعاء ﴿ فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ثلاثاً ﴾ اى اطمئن وطيب قلبك فان الله يكفيك جميع الاعداء ويحفظك من شرهم والخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وكأن التالى يقول اللهم اكفنى شرّ اعدائى كما كفيت نبيك ومن معه من المؤمنين واحفظنى كما حفظتهم . والنفس اكبر الاعداء وفتنتها اعظم من فتنة الشيطان وهى اضرُّ منه لانها عدوٌّ فى صورة صديق والانسان لا يتنبّه لمكايد الصديق وايضاً هى عدوٌّ من داخلٍ بخلاف الشيطان فانه عدو ظاهر . وقد قيل الخروج عن النفس هو النعمة العظمى لانها اعظم حجاب بين العبد وبين ربه وقال سهلُ بن عبدالله ما عُبِدَالله بشىء مثل مخالفة النفس والهوى . وسئل بعضهم عن الاسلام فقال ذبح النفوس بسيف المخالفة . اللهم اكفنا شر نفوسنا واحفظنا منها بمنك وكرمك ووفقنا لما تحبُّه وترضاه والمسلمين ﴿ فالله خير حفظاً وهو ارحم الراحمين ثلاثاً ﴾ فيجب ان اتوكل عليه وارجو ان يرحمنى ويمنّ علىّ بحفظه وفى قرآة حافظاً وقُرِىء خير حافظ وخير الحافظين قال كعب الاحبار لما قال يعقوب عليه السلام ذلك قال الله تعالى له وعزتى لأَرُدَّنِ عليك كليهما (يوسف وبنيامين) بعد ما توكلت علىّ

فينبغى للعبدان يتوكل على الله ويعتمد عليه وعلى حفظه دون حفظ ماسواه
فان ما سواه محتاج فى حفظه الى الاسباب والآلات والله تعالى غنىٌّ
بالذات مستغنٍ عن الوسائط فى كل الامور وجميع الحالات ﴿ ربنا
آتنا من لدنك رحمةً وهيء لنا من امرنا رشداً ثلاثاً ﴾ تقدم الكلام
على هذه الآية الكريمة فراجعه ان شئت ﴿ وافوض امرى الى الله
ان الله بصير بالعباد ثلاثاً ﴾ اى اسلّم امورى الى الله تعالى ليعصمنى
من كل سوء فانه بصير اى بالغ العلم بالعباد ظاهراً وباطناً فيعلم من
يستحق النصرة والهداية والرحمة فينصره ويهديه ويرحمه بفضله
واحسانه وارجو ان اكون من المستحقين لذلك حتى لا اشهد سواه
ولا اعتمد على غيره فى جميع الاحوال ﴿ الله لا اله ﴾ اى لا معبود فى
الوجود بحقٍّ ﴿ الا هو الحىُّ ﴾ اى ذو الحياة التامة التى لا يعتريها شىءٌ
من الآفات ولذا صح له البقاء لانه غير مسبوقٍ بالعدم ﴿ القيوم ﴾
اى الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه القائم بنفسه المقيم للكائنات كلها
﴿ لا تأخذه سِنة ﴾ وهى ما يتقدم النوم من النعاس والفتور مع بقاء
الشعور اى لا يأخذه نعاس ﴿ ولا نوم ﴾ وهو حالةٌ تعرض بسبب
استرخاء الدماغ من رطوبة الابخرة المتصاعدة فتمنع الحواسّ الظاهرة
عن الاحساس واكثر ما يكون من الغفلة ولذا قال عليه الصلاة والسلام
تنام عيناى ولا ينام قلبى ﴿ له ﴾ اى بيده وفى تصرفه واختصاصه
﴿ ما فى السموات وما فى الارض ﴾ اى ملكاً وخلقاً وعبيداً وهذا
تقرير لقيوميته واحتجاج على انفراده فى الالوهيـة والمراد بما فيهما

ما وُجد داخلا فى حقيقتهما كالكواكب والنبات والمعادن او خارجاً عنهما متمكناً منهما كالملائكة والانس والجن ﴿ مَن ذا الذى ﴾ اى لا احد ﴿ يشفع عنده الا باذنه ﴾ اى بامره له فى الشفاعة وهو بيان لكبرياء شأنه وانه لا احد يدفع ما يريده بشفاعته. فضلا عن معاندته وفى هذا دليل على انه تعالى يأذن لمن يشاء فى الشفاعة كالانبياء والعلماء والملائكة وغيرهم ممن اكرمهم الله تعالى وشرفهم. قال تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى ﴿ يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ﴾ اى ما كان قبلهم وما يكون بعدهم وقيل ما بين ايديهم اى ما هو حاضر مشاهد لهم وهو الدنيا وما فيها .وما خلفهم اى قدامهم وامامهم وهو الآخرة وما فيها . وقيل ما بين ايديهم ما قدموا من خيرٍ وشرٍّ وما خلفهم ما هم فاعلوه والضمير للخلق الدال عليه ما فى السموات وما فى الارض بتغليب العقلاء على غيرهم ﴿ ولا يحيطون بشىء ﴾ قليل ولا كثير ﴿ من علمه ﴾ اى لا يعلمون شيئاً من معلوماته لان علمه تعالى الذى هو الصفة القائمة بذاته المقدسة لا يتبعَّض ﴿ الاَّ بما شاء ﴾ ان يُعلمهم به منها وحياً او الهاماً ﴿ وسع كرسيُّه السموات والارض ﴾ هذا تصويرٌ لعظمته وتمثيل مجرد كقوله تعالى . وما قدروا الله حق قدره والارض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويَّات بيمينه . ولا كرسيّ فى الحقيقة ولا قاعد وقيل كرسيه مجاز عن علمه او ملكه فيكون المعنى احاط علمه او ملكه بهما وقيل هو جسم بين يدى العرش ولذلك سُمى كرسياً وهو محيط بالسموات السبع فقد روى عنه

عليه الصلاة والسلام انه قال ما السموات السبع والاراضون السبع من الكرسى الا كحلقة فى فلاة وفضل العرش على الكرسى كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة . ومعنى وسع انه لم يضق عن السموات والارض فهو مشتمل عليهما لبسطته وعظمته ﴿ ولا يؤده ﴾ اى لا يشق عليه ولا يثقله ﴿ حفظهما ﴾ اى حفظ السموات والارض ﴿ وهو العلى ﴾ الرفيع فوق خلقه المتعالى عن الانداد والاشباه ﴿ العظيم ﴾ الكبير الذى لا شئ اعظم منه المستحقر بالنسبة اليه كل ما سواه . وهذه الآية مشتملة على امهات المسائل الالهية فانها دالة على انه تعالى موجود . واحد فى الالوهية . متصف بالحياة واجب الوجود لذاته . موجد لغيره . منزه عن التحيز والحلول . مبرأ من التغير والفتور . لا يناسب الاشباح . ولا يعتريه ما يعترى الارواح مالك الملك والملكوت . ومبدع الاصول والفروع . ذو البطش الشديد الذى لا يشفع احد عنده الا باذنه . العالم وحده بالاشياء كلها جليها وخفيها كليها وجزئيها . واسع الملك والقدرة . لا يشق عليه شاق ولا يشغله شأن عن شأن . متعال عما يدركه الوهم . عظيم لا يحيط به الفهم ولذا قال صلى الله عليه وسلم ان اعظم آية فى القرآن آية الكرسى من قرأها بعث الله ملكا يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته الى الغد من تلك الساعة . وقال عليه الصلاة والسلام من قرأ آية الكرسى فى دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قرأها اذا اخذ مضجعه امنه الله تعالى

على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله • ومن فوائدها ان من قرأها عدد حروفها وهى مائة وسبعون حرفاً لا يطلب منزلة الاّ وجدها ولا يطلب رزقاً او سعة الا نالها او قضاء دين او حصول فرج او خروجاً من سجن او غير ذلك من سائر الشدائد الا ويغاث بها ﴿ شهد الله ﴾ اى بيّن لخلقه بالدلائل وانزال الآيات ﴿ انه لا اله ﴾ لا معبود فى الوجود بحقٍّ ﴿ الا هو ﴾ وحده لا شريك له ﴿ و ﴾ شهد بذلك ﴿ الملائكة ﴾ اى اقروا به ﴿ و ﴾ شهد بذلك ﴿ اولو العلم ﴾ اى بالايمان به والاحتجاج عليه • والمراد باولى العلم الذين عظمهم الله هذا التعظيم حيث جمعهم معه ومع الملائكة فى الشهادة على وحدانيته وعدله انهم الذين يثبتون وحدانيته وعدله بالحجج الساطعة والبراهين القاطعة • علماء العدل والتوحيد من الانبياء والمؤمنين وفيه دليل على فضل علماء اصول الدين واهله ﴿ قائماً ﴾ اى بتدبير مصنوعاته ﴿ بالقسط ﴾ اى العدل ﴿ لا اله الا هو ﴾ كرره للتأكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة ادلة التوحيد وليبنى عليه قوله ﴿ العزيز الحكيم ﴾ فيُعلم انه الموصوف بهما وقدم العزيز لان العزة تلائم الوحدانية والحكمة تلائم القيام بالقسط فأتى بهما لتقرير الامرين على ترتيب ذكرهما يعنى انه العزيز الذى لا يُغالبه اله آخر الحكيم الذى لا يعدل عن العدل فى افعاله ﴿ ان الدين عند الله الاسلام ﴾ اى لا دين مرضىّ عند الله سوى الاسلام وهو التوحيد والشرع المبعوث به الرسل كما قال تعالى ورضيت لكم الاسلام ديناً وقال تعالى ومن يبتغ غير الاسلام ديناً

فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين ﴿ قل اللهم مالك الملك ﴾ اى مالك العباد وما ملكوا قال تعالى فى بعض الكتب المنزلة انا الله ملك الملوك ومالك الملوك. قلوب الملوك ونواصيهم بيدى فإن العباد اطاعونى جعلتهم عليهم رحمةً وان عصونى جعلتهم عليهم عقوبةً فلا تشتغلوا بسبّ الملوك ولكن توبوا الىّ اعطفهم عليكم وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم كما تكونوا يولى عليكم ﴿ تؤتى ﴾ اى تعطى ﴿ الملك ﴾ فى الدنيا ﴿ مَن تشاء ﴾ من خلقك ﴿ وتنزع الملك ممن تشاء ﴾ منهم وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها هو نقلها من قومٍ الى قومٍ ﴿ وتعز من تشاء ﴾ من خلقك ﴿ وتذل من تشاء ﴾ منهم فى الدنيا او فى الآخرة او فيهما بالنصر والادبار والتوفيق والخذلان وقيل تعز من تشاء بالطاعة وتذل من تشاء بالمعصية وقيل تعز من تشاء بالقناعة وتذل من تشاء بالحرص والطمع ﴿ بيدك ﴾ اى بقدرتك ﴿ الخير ﴾ اى والشر واقتصر على الاول لمسارعة الادب فى الخطاب ونبّه على ان الشر بيده ايضاً بقوله ﴿ انك على كل شيء قدير ﴾ والشر من جملة الاشياء ثم عقّب ذلك ببيان قدرته على تعاقب الليل والنهار والموت والحياة وسعة فضله فقال ﴿ تولج ﴾ اى تُدخل ﴿ الليل فى النهار ﴾ حتى يكون النهار خمس عشرة ساعة والليل تسع ساعات مثلاً ﴿ وتولج النهار فى الليل ﴾ حتى يكون الليل خمس عشرة ساعة والنهار تسع ساعاتٍ مثلاً فيزيد كل منهما بما نقص من الآخر ﴿ وتخرج الحىّ من الميت ﴾ كالانسان من النطفة والطائر من

البيضة ﴿ وتخرج الميت ﴾ كالنطفة والبيضة ﴿ من الحي ﴾ وقيل تخرج المؤمن من الكافر وتخرج الكافر من المؤمن فالمؤمن حيٌّ الفوآد والكافر ميتُ الفوآد ﴿ وترزق من تشاء بغير حساب ﴾ اى رزقاً واسعاً ﴿ لقد جاءكم رسول من انفسكم ﴾ اى جنسكم عربي مثلكم وقرئ من انفَسكم بفتح الفاء اى اشرفكم ﴿ عزيز عليه ما عنتّم ﴾ اى يعزّ ويصعب عليه مشقتكم ولقاؤكم المكروه ﴿ حريص عليكم ﴾ اى على هدايتكم وراحتكم وصلاح شؤنكم ﴿ بالمؤمنين ﴾ منكم ومن غيركم ﴿ رؤف ﴾ اى له رأفة زائدة وشفقة ابلغ من الوالد والوالدة ﴿ رحيم ﴾ يُريد الخير لهم ولم يجمع الله تعالى لاحدٍ من انبيائه بين اسمين من اسمائه الا له صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ فان تولوا ﴾ اى اعرضوا عن نصحك والايمان بك يا اكرم الخلق ﴿ فقل حسبي الله ﴾ اى يكفيني الله شركم وينصرني عليكم لانه ﴿ لا اله الا هو ﴾ ولا مكافئ له ولا رادّ لامره ولا معقب لحكمه ﴿ عليه توكلت ﴾ اى اعتمدت واليه جميع اموري فوضت فلا ارجو الا اياه ولا اخاف الا منه لان امره نافذ في كل شيء ﴿ وهو رب العرش العظيم ﴾ اى الملك الكبير او الجسم العظيم المحيط الذى تنزل منه الاحكام والتقادير وخصه بالذكر لانه اعظم المخلوقات باسرها ويكرر التالى فان تولوا الخ ﴿ ثلاثا ﴾ وفي صحيح ابي داود من قال اذا اصبح واذا امسى حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم سبع مرات كفاه الله ما اهمه صادقاً كان بها او كاذباً ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ تقدم

الكلام عليها في اول الكتاب فراجعه ان شئت ﴿ الم نشرح ﴾ استفهام تقرير اى شرحنا وفسحنا بما يليق بعظمتنا ﴿ لك ﴾ يا اشرف الخلق ﴿ صدرك ﴾ اى قلبك بالنبوة وغيرها حتى وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق فكان غائباً حاضراً جامعاً بين الجمع والفرق ﴿ ووضعنا عنك وزرك ﴾ اى حططنا واسقطنا عنك حملك الثقيل ﴿ الذى انقض ﴾ اى اثقل ﴿ ظهرك ﴾ قيل هو ما ثقل عليه من فرطاته قبل البعثة وقيل اراد ثقل ايام الجاهلية وقيل اراد ما اثقل ظهره من الرسالة حتى بلغها اى خففنا عنك اعباء النبوة والقيام بها حتى لا تثقل عليك وقيل عصمناك من احتمال الوِزْرِ وحفظناك قبل النبوة من الادناس حتى نزل عليك الوحي وانت مطهر ﴿ ورفعنا لك ذكرك ﴾ بان تذكر مع ذكرى فى الآذان والاقامة والتشهد ويوم الجمعة على المنابر فلا خطيب ولا متشهد ولا مؤذن ولا صاحب صلاة الا ويقول اشهد انْ لا اله الا الله واشهد ان محمداً رسول الله . ومن ذِكره معه تعالى أن قرن طاعته بطاعته واسمه باسمه فقال تعالى واطيعوا الله واطيعوا الرسول وآمنوا بالله ورسوله وصلى عليه هو وملائكته وامر المؤمنين بالصلاة عليه وخاطبه بالالقاب الشريفة ﴿ فان مع العسر ﴾ اى الشدة كضيق الصدر والوزر المنقض للظهر ﴿ يسراً ﴾ اي سهولة كالشرح والوضع والتوفيق للاهتداء والطاعة فلا تيأس من روح الله اذا عراك مايغمك وتنكيره للتعظيم ﴿ ان مع العسر يسراً ﴾ تكرير للتأكيد اوعدةٌ مستأنفة بان العسرَ مشفوع بيُسرٍ آخر كثواب الآخرة مثل

قولك ان للصّائم فرحة ان للصائم فرحة اى فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء الله تعالى وعليه قوله صلى الله عليه وسلم . لن يغلب عسرٌ يسرين . اى لن يغلب عسر الدنيا يسرَى الدنيا والآخرة فان العسر معرف باللاّم فلا يتعدد سواء كان للعهد او للجنس ويسراً منكرٌ فيحتمل ان يراد بالثانى فردٌ يغايرُ ما اريد بالاوّل وقال بعضهم ان مع عسر المجاهدة يسر المشاهدة ومع عسر الانفصال يسر الاتصال ومع عسر القبض يسرُ البسط والعسر الواحد هو الحجاب واليسران كشف الحجاب ورفع العتاب ﴿ فاذا فرغت ﴾ من التبليغ او من المصالح الدنيوية المهمة ﴿ فانصب ﴾ اى فاجتهد فى العبادة واتعب شكراً لما اولیناك من النعم السالفة ووعدناك من الآلاء الآتية ﴿ والى ربك ﴾ اى سيدك المحسن اليك بجلائل النِّعم ﴿ فارغب ﴾ اى تضرَّع واجعل رغبتك اليه خصوصاً ولا تسأل الا فضله فانه القادر على اسعافك وحده دون غيره ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم انا انزلناه ﴾ اى القرآن العظيم الشان وهو كلام الله تعالى المنزه عن الحروف والاصوات بل عن المعانى واللغات وهو المنزل بجبريل عليه السلام على قلوب النبيين الكرام بالحروف والاصوات والمعانى واللغّات لانه مادّةُ الحروف والاصوات بل مادة كل شيء من العوالم وهو الموجود الواحد الحق وكل ماسواه باطل . ذلك تقدير العزيز العليم كما ان الحبر الذى كتبت به هذه الحروف ليس بحرفٍ ولا صوت ولا معنى ولا لغة وانّما هو مادة لجميع الحروف والاصوات والمعانى واللغات وهو موجود وجميع ما

يكتب به من الحروف تقادير معلومة لا وجود لها فى نفسها والوجود كله للحبر خاصة وليست الحروف المكتوبة اوعية له فلا هى حالّة فيه ولا هو حالٌّ فيها ولا هما متحدان ولله المثل الاعلى فى السموات والارض وليس هو مادّة ايضاً بل هو ممدٌّ لكل شىء قال تعالى كلاًّ نمد هؤلآء وهؤلآء الآية انتهى للعارف النابلسى قدس الله سرّه وقال المفسرون كان نزوله جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا والنون فى قوله تعالى انا انزلناه للعظمة وعن الشعبي المعنى انا ابتدأنا انزاله ﴿ فى ليلة القدر ﴾ وسميت بذلك لتقدير الامور فيها وقيل لعظمها وشرفها من قولهم لفلان قدر اى شرف ومنزلة ﴿ وما ادراك ﴾ اى اعلمك يا اكرم الخلق ﴿ ما ليلة القدر ﴾ هذا تعظيم لشأنها وتعجب منه اى انك لا تعلم كنهها لانها اعظم من ان تبلغها دراية فلا يدركها ولا يدريها الا علاّم الغيوب الذى اعلمك بها وبعلو مكانتها . واختلفوا فيها فقال بعضهم اول ليلة فى رمضان وقال بعضهم ليلة سبعة عشر وقال الاكثر فى العشر الاخير من رمضان واكثرهم على انها ليلة سبع وعشرين وروى عن الامام ابى الحسن الشاذلى انه قال من اراد ان يعرف ليلة القدر فلينظر الى غرة رمضان اى اوله فان كان يوم الاحد فليلة القدر ليلة تسع وعشرين وان كان يوم الاثنين فليلة القدر ليلة واحد وعشرين وان كان يوم الثلاثا فليلة سبع وعشرين وان كان يوم الاربعاء فليلة تسعة عشر وان كان يوم الخميس فليلة خمس وعشرين وان كان يوم الجمعة فليلة سبعة عشر

وان كان يوم السبت فليلة ثلاث وعشرين قالوا والسر فى اخفائها
على الامة ان يجتهدوا فى العبادات فى جميع ليالى رمضان طمعاً فى
ادراكها ﴿ ليلة القدر خير من الف شهرٍ ﴾ ليس فيها ليلة القدر فالعمل
الصالح فيها اعظم قدراً واكثر اجراً من العمل فى الف شهر ليست
فيها وهى ثلاث وثمانون سنة واربعة اشهر ﴿ تنزل ﴾ اى تتنزل
تنزلاً متواصلاً على غاية ما يكون من الخفّة والسرعة ﴿ الملائكة
والروح فيها ﴾ اى فى تلك الليلة والظاهر ان المراد كلهم للاطلاق
والمعنى تنزل الملائكة والروح من كل سماء الى الارض او الى سماء
الدنيا وقالوا ينزلون فوجاً فوجاً فمن نازلٍ ومن صاعد كأهل الحج
فانهم على كثرتهم يدخلون الكعبة ومواضع النسك باسرهم لكن
الناس بين داخل وخارج ولهذا السبب مدت الى غاية طلوع الفجر .
وقال بعضهم النازلون هم سكان سدرة المنتهى وفيها ملائكة لا يعلم
عددهم الاّ الله تعالى . واختُلِف فى الروح فقيل هو جبريل عليه
السلام وقيل غيره ولاهل الحقيقة فى الروح كلام آخر فراجعه فى
كتبهم ان شئت ولا يدخلون اى الملائكة النازلون بيوت الاصنام
والاماكن التى فيها الكلب والتصاوير والخبائث وبيوتاً فيها خمرٌ او
مُدمن خمرٍ او قاطع رحمٍ او جنبٌ او آكل لحم خنزير ولا يسلمون
عليهم ﴿ باذن ربهم ﴾ اى بامر ملكهم وسيدهم المربى لهم والمحسن
اليهم ﴿ من كل امرٍ ﴾ اى من اجل كل امر قدّر فيها لتلك السنة
من خيرٍ او شر ومعنى هذا ان الله تعالى يُظهر ذلك للملائكة

ويأمرهم بفعل ما هو من وظيفتهم بان يكتب لهم ماقدره فى تلك الليلة ويعرفهم اياه وليس المراد انه يحدثه فى تلك الليلة لان الله قدر المقادير من آجالٍ وارزاقٍ وغيرها قبل ان يخلق السموات والارض فى الأزل فمعنى ليلة القدر سوق المقادير الى المواقيت وتنفيذ القضاء المقدر ﴿ سلام هى ﴾ اى ما هى الا سلامة اذ لا يحدث فيها داء ولا شئ من الشرور والآفات كالرياح والعواصف ونحو ذلك مما يخاف منه بل كل ما ينزل فى تلك الليلة انما هو سلامة ونفع وخير ولا يستطيع الشيطان فيها سوء ولا ينفذ فيها سحر ساحر او ماهى الا سلام لكثرة السلام فيها من الملائكة اذ لا يمرّون بمؤمنٍ ولا مؤمنة الا سلموا عليه ويستمرّون على ذلك من غروب الشمس ﴿حتى مطلع الفجر ﴾اى الى وقت طلوعه وعن ابى هريرة مرفوعا من صلى العشاء الاخيرة فى جماعة من رمضان فقد ادرك ليلة القدر اى اخذ حظا منها ويسن لمن رآها ان يكتمها وان يكثر من الدعاء والتعبد فى ليالى رمضان وان يكون من دعائه اللهم انك عفو كريم تحبّ العفو فاعف عنى قالوا ومن علاماتها ان الشمس تطلع فى صبيحتها بيضاء ليس لها شعاع وكان سيدى على وفا قدس الله سره يقول من عرف الحق فكل اوقاته ليلة القدر ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم لإِيلاف قريشٍ ﴾ متعلق بقوله فليعبدوا ربّ هذا البيت والفاء لما فى الكلام من معنى الشرط والمعنى ان نعم الله عليهم لاتحصى فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لاجل ﴿ ايلافهم رحلة الشتاء

والصيف ﴾ اى الرحلة فى زمن الشتاء الى اليمن وفى زمن الصيف الى الشام فيمتارون ويتّجرون وهم آمنون من سائر العرب لاجل عزّهم بالحرم المعظم وبيت الله الحرام والناس يتخطّفون من حولهم ولا يجترئ احد عليهم والإيلاف من قولك أَلِفت الشئ اِلفاً وهو بمعنى الائتلاف فيكون المعنى لإِيلاف قريش هاتين الرحلتين فتتصلا ولا تنقطعا. والف الشيء يألفه بمعنى جمعه واحبه وقريشٌ هم ولد النضر بن كنانة ومن لم يلده فليس بقرشيٍّ منقول من تصغير قرشٍ وهو دابة عظيمة فى البحر تعبث بالسفن وتقلبها وتضر بها فتكسرها ولا تطاق الا بالنار وشُبهوا بها لانها تاكل ولا تُؤكل وتعلو ولا تعلى وتصغير الاسم للتعظيم فكأنّه قيل قريش عظيم ﴿ فليعبدوا رب هذا البيت الذى اطعمهم ﴾ اى قريشاً بحمل الميرة الى مكة بالرحلتين اللتين تمكنوا منها بواسطة كونهم من جيرانه وسكان حرمه ﴿ من جوع ﴾ عظيمٍ فيه غيرهم من العرب او كانوا هم فيه قبل ذلك لان بلدهم ليس بذى ذرع فهم عرضة للفقر الذى ينشأ عنه الجوع فكفاهم ذلك وحده ولم يشاركه احد فى كفايتهم فليس من الشكر اشراكهم غيره معه فى عبادته ﴿ وآمنهم من خوفٍ ﴾ اى خوف اصحاب الفيل او خوف التخطف فى بلدهم ومسايرهم ﴿ ثلاثاً ﴾ اى يكرر التالى وآمنهم من خوف ثلاث مرات كذا تلقيناه . وهذه السورة امان من وحشة السفر وخوفه لمن لازمها صباحاً ومساء قاله سيدى الشيخ احمد زروق ﴿ بسم الله الرحمن

الرحيم قل هو الله احدٌ ﴾ اى المنفرد فى ذاته وصفاته وافعاله والوهيته من غير شريك ولا شبيه ولا نظير والضميرُ للشان اى الحال والشان هو الله احد وروى ان قريشاً قالوا يا محمد صف لنا ربك الذى تدعونا اليه فنزل قل هو الله احد ﴿ الله الصمد ﴾ اى المقصود فى الحوائج على الدوام وقيل هو الذى لا جوف له ولا ياكل ولا يشرب وتكرير لفظ الله للاشعار بان من لا يتّصف به لا يستحق الالوهية ومن خواص هذا الاسم ان من اكثر من ذكره قل افتقاره الى الاكوان واذا داوم عليه صاحب حالٍ صادقةٍ رجعت حوائج الخلق اليه واتّصف بمكارم الاخلاق ﴿ لم يلد ﴾ اى لم ينفصل عنه احد ولم يصدر عنه ولد لانه لا يجانسه شئ ليمكن ان يكون له من جنسه زوجة فيتوالد او لا يفتقر الى من يُعينه او يخلفه لاستحالة الحاجة اليه والفناء عليه سبحانه وفى هذا ردٌّ على من قال الملائكة بنات الله والمسيح ابن الله تعالى الله عما يقولون عُلوّاً كبيراً ﴿ ولم يولد ﴾ اى لم ينفصل عن احد لانه لا يفتقر الى شئ ولم يسبقه عدم ﴿ ولم يكن له كفواً احدٌ ﴾ اى ولم يكن احد يكافئه اى يشاكله ويماثله من صاحبةٍ وغيرها بل هو خالق الاكفاء كلها ولاشتمال هذه السورة مع قصرها على جميع المعارف الالهية والرد على من الحد فيها جاء فى الحديث الشريف انها تعدل ثلث القرآن وذلك لان مقاصده محصورة فى شأن العقائد والاحكام والقصص وهى مشتملة على القسم الاول فعلى التالى ان يكررها ﴿ ثلاثاً ﴾ قال صلى

الله عليه وسلم من قرأ قل هو الله احد ثلاث مرات فكأنما قرأ
القرآن اجمع وسميت سورة الاخلاص لانها تخلص قارئها من شدائد
الدنيا والآخرة وسكرات الموت وظلمات القبر واهوال القيامة
وتسمى ايضاً سورة المعرفة لانه صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً
يقرؤها فقال هذا رجلٌ عرف ربه وسورة الولاية لان من لازم
على قراءتها صار ولياً لله تعالى وعنه صلى الله عليه وسلم من مرّ على
المقابر فقرأ قل هو الله احد احدى عشر مرة ثم وهبها للاموات
اعطاه الله الاجر بعدد الاموات وبالجملة فقد ورد فى فضائلها اخبار
كثيرة وآثار لا تحصر وفوائدها اشهر من ان تذكر ﴿بسم الله الرحمن
الرحيم قل اعوذ بربِّ الفلق﴾ بمعنى المفلوق وهو جميع الكائنات
لان الله تعالى فلق عنها ظلمة العدم بنور الايجاد لاسيما مايخرج من
اصلٍ كالنبات والعيون والامطار والاولاد وقيل الصبح لما فيه من
تغير الحال وتبدل وحشة الليل بسرور النهار وللاشعار بان من قدر
ان يزيل ظلمة الليل عن الكائنات قادر على ان يزيل عن العائذ
مايخافه ﴿من شر ما خلق﴾ اى اوجده من حيوانٍ مكلف وغير
مكلف وجمادٍ كالسم وغير ذلك كالكفر والظلم واحراق النار وقيل
هو ابليس وقيل جهنم اعاذنا الله منها بمنه وكرمه ﴿ومن شر غاسق﴾
اى ليل عظيم ظلامه ﴿اذا وقب﴾ اى دخل ظلامه فى كل شئ
وذلك بعد غياب الشفق وتخصيصه بالذكر مع اندراجه فيما قبله لان
المضار تقع فيه غالباً ويعسر فيه الدفع ولذا قيل الليل اخفى للويل

وقيل الحيـة اذا لدغت وقيـل القمر اذا غاب وقيـل اذا خسف ﴿ومن شر النفـاسات فى العقدِ﴾ اى النفوس او النساء السواحر اللاتى يعقدن عقداً فى خيوطٍ وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق لانهم كانوا اذا سحروا خلطوا عملهم بريقهم ليتكامل الخبث وتخصيصه لما روى ان يهودياً سحر النبي صلى الله عليه وسلم فى احدى عشرة عقـدة فى وترٍ دسَّه فى بئر فمرض عليـه الصلاة والسـلام فنزلت المعوذتان واخبره جبريل عليه السلام بموضع السحر فارسل علياً كرم الله وجهه فجاء به فقرأهما عليه فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد بعض الخفة حتى انحلت العقد كلها وقام كانه نشط من عقال ﴿ومن شر حاسدٍ اذا حسد﴾ اى اذا اظهر حسده وعمل بمقتضـاه فان الحسد لا يعود ضرره الى المحسود الا حينئذ واما قبل اظهـاره فالضرر خاصٌّ بالحاسد لغمه بسرور المحسود ولعود الضرر عليه وحده كما قال على رضى الله عنـه . لله در الحسد ما اعـدله من داء يضر الحـاسد قبل المحسود . بل ضرر المحسود غير محقق لانه قد يرجع لكمد الحاسد وغمه ثانياً ويموت حزناً كما قال بعضهم *

* اصبر على حسد الحسو * دِ فان صبرك قاتله *
* والنـار تأكل بعضهـا * ان لم تجـد ما تأكله *

وخص الحسد لانه عمدة الضرر فى الحيوانات آدمياً وغيره كما يشاهد من بعض الحيوانات اذا سبقه غيره لنحو ماكولٍ حسده وربما آذاه اذيَّة شديدة والحسد تمنيِّ زوال نعمة المحسود وان لم تصل الى الحاسد

طهّر الله منه قلوبنا بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم قل اعوذ برب الناس ﴾ اى خالقهم ومالكهم ومربيهم بافاضة ما يصلحهم ﴿ ملك الناس ﴾ عطف بيان جئ به لبيان ان تربيته تعالى اياهم ليست بطريق تربية سائر المُلّاك لما تحت ايديهم من مماليكهم بل بطريق الملك الكامل والتصرف الشامل والسلطان القاهر ﴿ اله الناس ﴾ هو لبيان ان ملكه تعالى ليس بمجرد الاستيلاء عليهم والقيام بتدبير امور سياستهم والتولى لترتيب مبادى حفظهم وحمايتهم كما هو قصارى امر الملوك بل هو بطريق العبودية المؤسّسة على الالوهية المقتضية للقدرة التامة على التصرف الكلى فيهم احياء واماتةً وايجاداً واعداماً الى غير ذلك ﴿ من شر الوسواس ﴾ اى الشيطان المُوسوِس سُمى بفعله مبالغة والوسوسة حديث النفس ﴿ الخناس ﴾ اى الذى عادته ان يخنس اى يتأخر اذا ذكر الانسان ربه ﴿ الذى يوسوس فى صدور الناس ﴾ اى قلوبهم اذا غفلوا عن ذكر ربهم ووسوستُهُ الدعاء الى طاعته بكلام خفى يصل مفهومه الى القلب من غير سماع صوت ﴿ من الجنة والناس ﴾ الجنة بالكسر جماعة الجن ومن بيان للذى يوسوس على انه قسمان جنى وانسى كما قال تعالى شياطين الانس والجن والمَوسوسُ اليه نوع واحد وهو الانس فكما ان شيطان الجن قد يوسوس تارةً ويخنس اخرى فشيطان الانس يكون كذلك وذلك لانه يُلقى الأباطيل ويُرِى نفسه فى صورة الناصح المشفق فان زجره السامع يخنس ويترك

الوسوسة وان قبل السامع كلامه بالغ فيه وقد ورد ان من قرأ المعوذتين فكانما قرأ الكتب التى انزلها الله تعالى . وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن عامر الا اخبرك بافضل ما تعوّذ به المتعوذون قلت بلى يا رسول الله .قال قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله ﴾ اى كل كمالٍ ووصفٍ جميل مختص بالله اى الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد اذ ما من خير الا وهو سبحانه وتعالى موليه مطلقاً كما قال تعالى وما بكم من نعمة فمن الله وفيه اشعار بانه تعالى حىٌّ قادر مريد عالم اذ الحمد لا يستحقه الا من كان هذا شأنه ﴿ ربّ العالمين ﴾ اى مالك جميع الخلق من الانس والجن والملائكة والدواب وغيرهم اذ كلٌّ منها يُطلق عليه عالم فيقال عالم الانس وعالم الجن وعالم الطير وعالم النبات الى غير ذلك وهو من العلامة لانه علامة على موجده سبحانه وسمى المالك بالرب لانه يحفظ ما يملكه ويربيه ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ صفتان لله تعالى وقد مر الكلام عليهما فى البسملة ﴿ ملك يوم الدين ﴾ اى الجزاء والحساب على الاعمال وهو يوم القيامة وخص بالذكر لانه لا ملك ظاهراً فيه لاحد الا لله تعالى وحده بدليل لمن الملك اليوم لله ومن قرأ مالِكِ فمعناه مالك الامر كله يوم القيامة ﴿ اياك نعبد واياك نستعين ﴾ اى نخصك بالعبادة من توحيد وغيره ونطلب منك المعونة على العبادة وغيرها والضمير المستكن فى قوله نعبد ونستعين للقارئ ومن معه من الحفظة

وحاضرى صلاة الجماعة او له ولسائر الموحدين ادرج عبادته فى
تضاعيف عبادتهم وخلط حاجته بحاجتهم لعل عبادته تقبل ببركة
عبادتهم وحاجته يجاب اليها ببركة حاجتهم ولهذا شرعت الجماعة فى
الصلاة وقدم المفعول وهو قوله اياك للتعظيم والاهتمام به والدلالة
على الحصر ولذا قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما معناه نعبدك
ولا نعبد غيرك وللتنبيه على ان العابد ينبغى ان يكون نظره الى المعبود
اولاً وبالذات ومنه الى العبادة لا من حيث انها عبادة صدرت عنه
بل من حيث انها نسبة شريفة اليه ووصلة بينه وبين ربه فان العارف
انما يتحقق وصوله اذا استغرق فى ملاحظة جناب القدس وغاب عما
عداه حتى انه لا يلاحظ نفسه ولا حالاً من احوالها الا من حيث انها
ملاحظة له ومنتسبة اليه ولذا فُضِّلَ ما حكى الله تعالى عن حبيبه صلى
الله عليه وسلم حيث قال لا تحزن ان الله معنا على ما حكاه عن كليمه
موسى عليه السلام حيث قال ان معى ربى سيهدين لان الاول قدم
ذكر الله تعالى على المعية والثانى بالعكس وتكرير قوله اياك للتنصيص
على انه المستعان به لا غير وقدمت العبادة على الاستعانة لان تقديم
الوسيلة على طلب الحاجة ادعى الى الاجابة وايضاً لما نسب المتكلم
العبادة الى نفسه اوهم ذلك فرحاً واعترافاً منه بما يصدر عنه فعقبه
بقوله واياك نستعين ليدل على ان العبادة ايضاً مما لا يتم ولا يتيسر
له الا بمعونة الله تعالى وتوفيقه وذكر الامام ابن عطاء الله فى لطائف
المنن انه سمع شيخه ابا العباس المرسى يقول فى قوله تعالى اياك نعبد

واياك نستعين اياك نعبد شريعة واياك نستعين حقيقة اياك نعبد اسلام
واياك نستعين احسان اياك نعبد عبادة واياك نستعين عبودية اياك
نعبد فرق واياك نستعين جمع ثم قال فى كتابه المذكور واعلم رحمك
الله باقباله عليك بوده وجعلك من المراعين لعهده ان الله سبحانه
وتعالى طلب من العباد ان يعبدوه واقتضى منهم ان يسجلوا بذلك
على انفسهم نطقاً كما قاموا به عملا واقتضى منهم ان يفردوه واقتضى
منهم ان تنتظم للعبادة جميع جوارحهم الظاهرة وحقائق وجوداتهم
الباطنة واقتضى منهم الرجعى اليه من دعوى القيومية فى العبادة
بصدق التبرى من الحول والقوة فلما قام العبد لله بالعبادة عملا اقتضى
الحق منه ان يعترف بها نطقاً ليكون ذلك معاهدة بينه وبين الحق
سبحانه حتى اذا تفلتت نفسه عن القيام بالعبادة له وثقلت عليها
ملازمة التكليف قامت الحجة على العبد بما اعطى الله سبحانه من
الاعتراف بالعبادة له وانه لا يعبد غيره بقوله اياك نعبد واقتضى من
العباد ان تستوعب العبادة جميع جوارحهم الظاهرة وعوالمهم الباطنة
باتيانه بالصيغة هكذا نعبد واعراضه عن التعبير بالهمزة المنفردة
بالتكلم لان النون انما تكون للواحد المعظم نفسه او هو مع غيره
وليس هذا موضع هذين المعنيين اذ العبد لا يبتدئ بين يدى الله
تعالى بوصف عظمة فلم يبق الا ان يكون للواحد ومعه غيره وذلك
ما اشرنا اليه من الجوارح الظاهرة والحقائق الباطنة واما انه اقتضى
منهم الرجعى اليه من دعوى القيومية فى العبادة لانه لما قال اياك

نعبد واضاف العبادة اليهم واقتضى منهم ان يعترفوا بذلك قياما بدائرة
الفرق التى عليها يترتب التكليف اردف ذلك بقوله واياك نستعين
كيلا يدعى العباد معه انهم قاموا بالعبادة بانفسهم فاراد منهم ان يوفوا
الحقيقة حقها والشريعة حقها فذلك جمع بين الامرين القيام بالعبادة
لربوبيته والتبرى من الحول والقوة مع الوهيته ﴿ اهدنا الصراط
المستقيم ﴾ هذا بيان للمعونة المطلوبة فكانه قال كيف اعينكم فقالوا
اهدنا والهداية هى المقصود الاعظم وهى الدلالة بلطف ولذلك
تستعمل فى الخير اى دلنا على الصراط المعتدل الذى لا اعوجاج
فيه والمراد به طريق الحق وقيل هو ملة الاسلام وهداية الله تعالى
تتنوع انواعا كثيرة لا يحصيها عدد ولكنها تنحصر فى اجناس مترتبة
الاول افادة القوى التى بها يتمكن المرء من الاهتداء الى مصالحه
كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة والثانى نصب
الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح والفساد والثالث الهداية
بارسال الرسل وانزال الكتب والرابع ان يكشف على قلوبهم
السرائر ويريهم الاشياء كما هي بالوحى او الالهام والمنامات الصادقة
وهذا قسم يختص بنيله الانبياء والاولياء فالمطلوب اما زيادة ما منحوه
من الهدى او الثبات عليه او حصول المراتب المرتبة عليه فاذا قاله
العارف بالله الواصل عنى به ارشدنا طريق السير فيك لتمحو عنا
ظلمات احوالنا وتميط غواشى ابداننا لنستضىء بنور قدسك فنراك
بنورك وقال سيدى ابو العباس المرسى قدس الله سره عموم المؤمنين

يقولون اهدنا الصراط المستقيم اى بالتثبيت فيما هو حاصل والارشاد لما ليس بحاصل فانه حصل لهم التوحيد وفاتهم درجات الصالحين والصالحون يقولون اهدنا الصراط المستقيم اى بالتثبيت فيما هو حاصل والارشاد لما ليس بحاصل فانه حصل لهم الصلاح وفاتهم درجات الشهداء والشهداء يقولون اهدنا الصراط المستقيم اى بالتثبيت فيما هو حاصل والارشاد لما ليس بحاصل فانه حصل لهم درجات الشهداء وفاتهم درجات الصّديقية والصدّيق يقول اهدنا الصراط المستقيم اى بالتثبيت فيما هو حاصل والارشاد لما ليس بحاصل فانه حصل لهم درجات الصديقية وفاتهم درجات القطب والقطب يقول اهدنا الصراط المستقيم اى بالتثبيت فيما هو حاصل والارشاد لما ليس بحاصل فانه حصل له علم رتبة القطبانية وفاته علم اذا شاء الله ان يطلعه عليه اطلعه ﴿صراط الذين انعمت عليهم﴾ بالهداية والتوفيق وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان المراد بالذين انعمت عليهم الانبياء والملائكة والصديقون والشهداء ومن اطاعه وعبده وقيل الانبياء خاصة وقيل اصحاب موسى وعيسى عليهما السلام قبل التحريف والنسخ ﴿غير المغضوب عليهم﴾ وهم المشركون ﴿ولا الضالين﴾ اى وغير الضالين وهم المنافقون وقيل المغضوب عليهم العصاة والضالين الجاهلون بالله تعالى لان المنعم عليه من وُفق للجمع بين معرفة الحق لذاته والخير للعمل به وقيل غير ذلك والغضب فى الاصل ثوران النفس لارادة الانتقام وهو محال فى حقه تعالى فاذا أُسند

اليه يراذ به غايته وهو الانتقام من العصاة وانزال العقوبة بهم نعوذ بالله تعالى من غضبه ونسأله رضاه برحمته والضلال العدول عن الطريق السوىّ عمداً او خطا . واعلم ان اول هذه السورة مشتمل على الحمد لله تعالى والثناء عليه والمدح له وآخرها مشتمل على الذم للمعرضين عن الايمان به والاقرار بطاعته وذلك يدل على ان مطلع الخيرات وعنوان السعادات هو الاقبال على الله تعالى ومطلع الآفات ورأس المخالفات هو الاعراض عن الله تعالى والبعد عن طاعته والاجتناب عن خدمته والسنة للقارئ ان يقول بعد فراغه من الفاتحة ﴿آمين﴾ مفصولاً عنها بسكتة لطيفة ومعناها يا الله استجب لنا وآمنّا خيبة دعائنا وقد ورد فى فضلها واجابة الدعاء بها احاديث وآثار فيستحب لكل داعٍ ان يختم بها دعاءه وليست هى من القرآن اتفاقاً وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأُبَيّ الا اخبرك بسورة لم ينزل فى التوراة والانجيل والقرآن مثلها قال بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثانى والقرآن العظيم الذى اوتيته رواه الترمذى وقال حسن صحيح وتسمى ام القرآن لانها مفتتحه ومبدؤه فكانها اصله ومنشاؤه ولذلك تسمى اساساً او لانها تشتمل على مافيه من الثناء على الله تعالى والتعبد بامره ونهيه وبيان وعده ووعيده والوافية والكافية لانها وافية كافية فى صحة الصلاة بخلاف غيرها عند القدرة عليها والشافية لقوله صلى الله عليه وسلم هى شفاء لكل داء والسبع المثانى لانها سبع آيات بالاتفاق

لكن من عدّ البسملة آية منها جعل السابعة صراط الذين انعمت عليهم الى آخرها ومن لم يعدّها آية منها جعل السابعة غير المغضوب الى آخرها وسُميت مثانى لانها تثنى فى الصلاة اى تكرر فيها بان تقرأ فى كل صلاة وفى كل ركعة وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه انه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ولعبدى ما سأل فاذا قال الحمد لله رب العالمين قال حمدنى عبدى فاذا قال الرحمن الرحيم قال اثنى علىّ عبدى فاذا قال مالك يوم الدين قال مجدنى عبدى فاذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل فاذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدى ولعبدى ما سأل رواه مسلم ﴿ سبحان ربك رب العزة ﴾ اى الغلبة كما قال الجلال او الهيبة التى خلقها الله فى الملوك وفى سائر الخلق والمعنى اعتقد تنزيه الله تعالى ﴿ عما يصفون ﴾ اى عن الاوصاف التى يصفه بها المشركون ﴿ وسلامٌ ﴾ اى تحية وامانٌ من الله ﴿ على المرسلين ﴾ اى المبلغين عن الله التوحيد والشرائع ﴿ والحمد لله رب العالمين ﴾ على ما افاض على المرسلين وعلى من اتبعهم من النعم وحسن العاقبة ولذلك اخره عن التسليم والمراد تعليم المؤمنين كيف يحمدونه تعالى ويسلمون على رسله . وعن علىٍّ رضى الله تعالى عنه وكرم وجهه من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان

ربك الى آخرها قلتُ والذى يناسب حال تالى هذا الورد ان يقصد بقوله والحمد لله رب العالمين مع ملاحظة ما تقدم حمده تعالى على نعمة مناجاته بالاذكار والدعوات اللسانية والتوجهات القلبية فانه سبحانه وتعالى هو الموفق لذلك والمعين عليه . وهو اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب *

وكان الفراغ من تأليف هذا الكتاب فى صبيحة يوم الاحد المبارك ثالث شهر رجب الفرد سنة اربع وثلاثمائة والف من هجرة خاتم الانبياء والمرسلين صلوات الله تعالى وسلامه عليهم اجمعين

* والحمد لله رب العالمين *

ولما شرفه حضرة شيخنا واستاذنا بنظره الكريم وقع لديه موقع القبول والاستحسان وقال بعد ما اذن بطبعه هذا الكتاب نافعٌ فى السير . جامع بين الشريعة والحقيقة . مشتملٌ على كثيرٍ من آداب الطريقة . وهكذا تكونُ المريدون *

ثم اطّلع عليه جماعة من العلماء الافاضل فاثنوا عليه وقرظوه بتقاريظ سامية جادت بها قرائحهم النيرة *

منها ما قاله حضرة العارف بالله تعالى مولانا العالم العامل والجهبذ الكامل صاحب الفضيلة الشيخ عبد الباسط افندى الفاخورى الخلوتى مفتى بيروت حالا مدّ الله فى حياته *

الحمد لله الذى رفع قدر اهل الطريقة فى البرية . وهداهم بنور الشريعة لمعرفة الحقيقة فوصلوا الى المقامات العلية . والصلاة والسلام

على سيدنا محمد شمس سماء العرفان . وعلى آله واصحابه الذين نالوا بمتابعته
كمال الايمان والاحسان . وبعد فقد اطّلعتُ على هذا الكتاب الميمون .
والتأليف الذى هو بغرر الدرر مشحون . فوجدتُه روضةً زاهيةً
بالازهار . وجنةً تجرى من تحتها الانهار . محتوياً على فوائد النجاة
والنجاح . ومنطوياً على قواعد الصلاح والفلاح . قد جمع من الاقوال
ما صحّ وحق . ومن الاحوال ما زهق به كل باطلٍ وانمحق . فهو كتاب
لطيف فى بابه . شريف فى ايجازه واطنابه . منزهٌ عن الحشو واللغو
والتأثيم . ينشرح به صدر كل عارفٍ حكيم . حيث انه اوضح طريق الشاذلية
باوضح من فلق الصبح . وافصح عن معانى التصوف وآدابه مرصعةً
بنفائس النصح . ولقد تأملته تأمل ناقد بصير . فرأيته فى غاية التحرى
ولا ينبئوك مثل خبير . فحمدت الله تعالى على ما وهب من الفتح والفضل
العظيم . لمؤلفه العالم العامل ولدى القلبى المتصف بالذكاء والفهم
المستقيم . وخلاصةُ ماقولهُ مصادقةً على ما اشار اليه هذا الفرع النامى
واقام عليه البرهان والدليل . ان الذى مال الى الابتداع عن الاتباع
الواجب هو غير مهتدٍ الى سواء السبيل . ادامه الله رافلا فى اثواب
المحاسن . ورواداً من المعارف شراباً غير آسن . وجزاه الله خيراً على
نصحه للانام . ومنّ علينا جميعاً بحسن الختام *

وقال جناب العالم الفاضل صاحب الفضيلة والسيادة نحاس زاده
السيد عبد الرحمن افندى نقيب السادة الاشراف فى مدينة بيروت
حالاً دام وجوده الشريف *

* كتابٌ به لا شك ينشرح الصدرُ
وما هو الا الروض يزهو به الزهرُ *
* حوى من جميل النصح مايوجب الثنا
لمنشئهِ ذى الفضل وهو له ذكرُ *
* فمن سار فى هذا الطريق كسيره
يرى نفحات القدس ممن له الامرُ *
* طريقٌ بها يلقى المريدُ مراده
جليًّا وفى الدارين يسمو له قدرُ *
* يشاهد نور القرب فى حال ذكره
ويبدو باسرار التجلى له فجرُ *
* لنا قد جلا هذا المؤلَّفُ بعضها
فكان بها كالعقدِ زيّنه الدرُّ *
* به مصطفى وفّى ومن كان مثله
محبًّا لنفع النّاس يُهدى له الشكرُ *

وقال جناب المولى الاجل . العالم العلامة النحرير . صاحب الفضيلة . الشيخ يوسف افندى الاسير نفعنا الله بعلومه *

الحمد لله تعالى وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده . اما بعد فقد اطّلعت على هذا المؤلَّف المألوف . فاذا هو كالروض المسلوف . حيث ذكر فيه مؤلفه الفاضلُ من اقوال الاسلاف . ماينفى

الخلاف الواقع بين كثيرين من الاخلاف . فهو سلافةٌ فى هـذا العصر . مؤيدٌ لما هو احقُّ بالنصر . يميلُ به ذو الطبع السليم . الى الطريق الواضح المستقيم . ويمدُّ شِراع الشرع ولا يعباء باللوم . من يركب فُلك السير فى بحر علم القوم . وحاصله ان العمل بلا علمٍ باطل . والعلم بلا عمل عاطل . كما قلتُ *

اری السرَّ فى هذا الكتاب لانه * يُريك طريقَ القوم طبقَ الشريعةِ
وما هو الا العلمُ مع عملٍ به * فحاويهما يُعزى لاهل الحقيقةِ
ومن كان فيه واحدٌ منهما فلا * يكون باهلٍ عندهم للطريقةِ

وبالجملة فان ما قلناه لا يحتاج الى دليل والله يقول الحق وهو يهدى السبيل *

وقال جناب العالم الفاضل . والاديب الكامل . صاحب المكرمة العلميـة . الشيخ قاسم ابى الحسن افندى الكستى البيروتى المحترم حفظه الله تعالى *

الحمد لله الذى اودع اسرار حكمته فى قلوب العارفين . ومنحهم لذة قربه وكشف لهم عن حقائق كتابه المبين . فقاموا بواجبات خدمته حتى نالوا اعلى مقام . وتمسكوا بشريعته الغراء وتجنبوا الاهواء والاوهام . والصلاة والسلام على سيدنا محمد معدن النبوة والولاية . الذى هو امام المتقين ومنبع الارشاد والهداية . وعلى آله واصحابه السالكين طريقه المستقيم بكل اجتهاد . والموصلين من اتبعهم

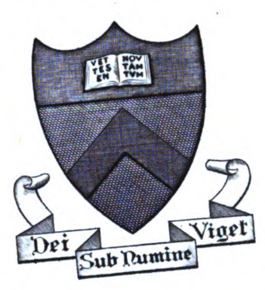
باحسانٍ الى اهليّة الامداد . اما بعد فانى قد اطّلعت على هذا الكتاب المسمّى كشف الاسرار . وامعنت فيه نظرى فوجدته جديراً بالاعتناء والاعتبار . حيث انه اشتمل على نقل بعض اخبار احبار الامة . واظهر من خبايا كنوز القوم فرائد الفوائد المهمة . وبه تاكد لذوى الالباب كمال ائمة الطريقة الشاذلية . وان مشربهم الصافى صادر عن مورد الشريعة المحمدية . ولا شك ان هذا المؤلَّف عنوانٌ على فضل جناب من انشأ مسائله . واقام عليها بذكاء معرفته براهين التصوف ودلائله . فله منا على ذلك الثناء الجميل . ونرجو من الله تعالى ان يفوز بالثواب الجزيل . على ان ما اتى به رايته صحيح النقول . وانى بتقريظه نظماً بعد اعترافى بالقصور اقول *

إنّ كشفَ الاسرار ابدى خفايا * كان عنها اهلُ الزمان بغفلهْ
فتحَ الباب للمريد ليحظى * ببلوغ المراد من غير ثقْلهْ
ثم يبدو لعينه بيقينٍ * صبحُ سرٍّ به يُنوِّر عقلَهْ
وله تظهر السعادة جهراً * ويرى نعمة الاله وفضلَهْ

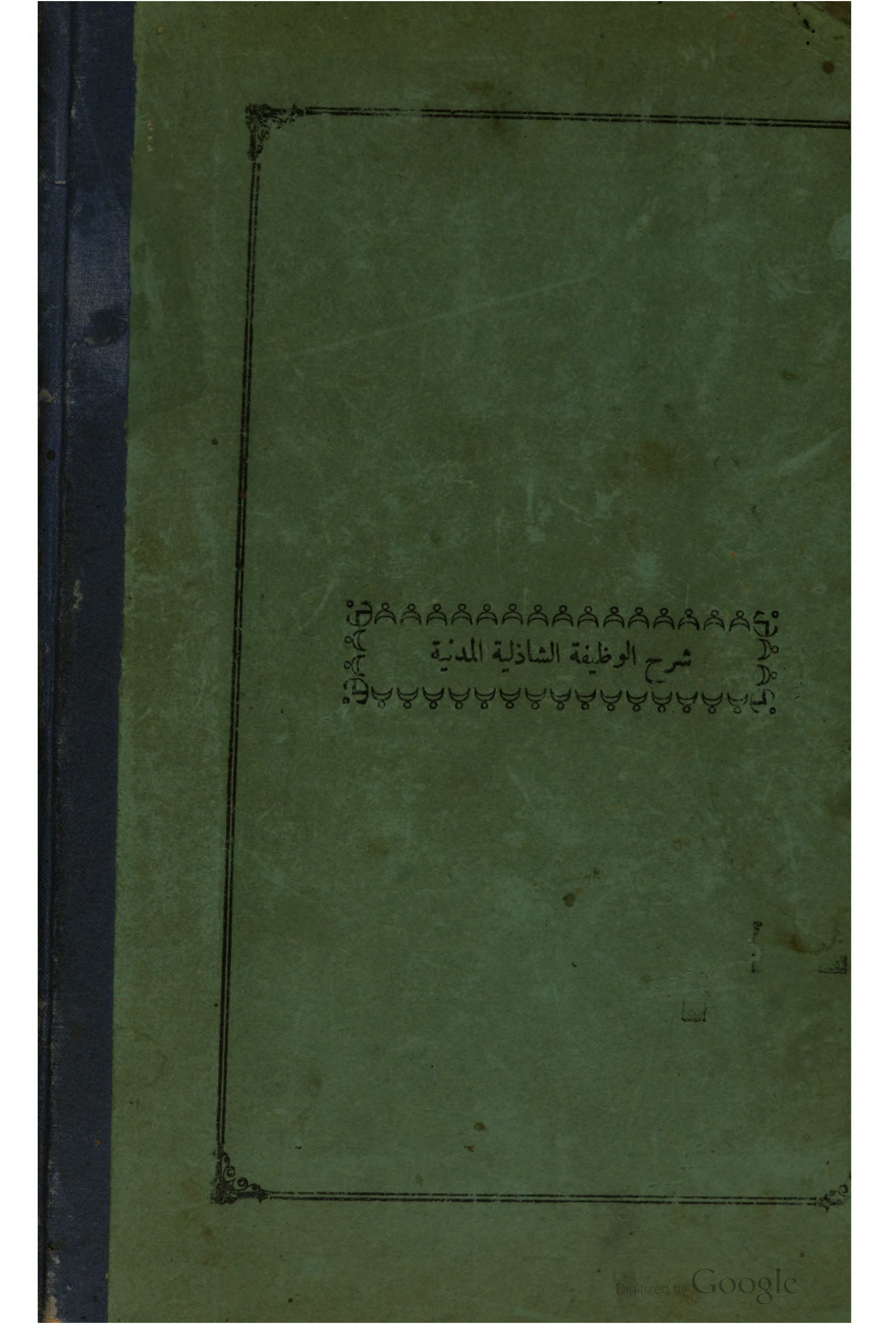
وقال جناب العالم الفاضل صاحب المكرمة سيدى الشيخ ابراهيم
* افندى البربير البيروتى المحترم *

الحمد لله الذى اطلع فى سماء الحقيقة شموساً ملأ بها الكون نورا . وخصهم بعلومٍ كشفوا بها اسرار حكمته وشرحوا بها صدورا . والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى اوضح طرق الارشاد لهذه

الامة . وعلى آله واصحابه الذين هم شموس الهدى وهداة الائمة .
وبعد فقد اطّلعت على هذا السفر الجليل المقدار . الموسوم بكشف
الاسرار . حال نسخى له عن خط المؤلف فوجدته كتاباً حوى من
المسائل ما لم يحوه كتاب . وفتح للمريد الى اقصى المراد كلّ باب .
بيّن به كيفية السير والسلوك فى طريق القوم . ونفى بالادلة كل
وَهْمٍ يترتبُ عليه اللوم . كيف لا وقد اسس بنيانه على طريق
الشريعة . ولم يخض فى اوحال الاحوال الوضيعة . فلعمرى انه لتأليفٌ
ظهر كالشمس فى الآفاق . وترنّمتْ بالثناء عليه ألسِنَةَ الفضلاء
على الاطلاق . فهو حرىٌّ بان يفتخر به العالمون
ولمثل هذا فليعمل العاملون . وانني اشكر
سعى مؤلفه على هذا العمل المفيد .
وأسأل الله لى وله من
الخير المزيد
آمـين
م


Dei
Sub Numine
Viget




شرح الوظيفة الشاذلية المدنية